المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

نور الدين عبد الرحمن الجامى

الطبعة الثانية

لوائح الحق
و
لوامع العشق

ترجمة وتقديم : محمد علاء الدين منصور

2/424

لوائح الحق
و
لوامع العشق

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٤٢٤/ ٢
- لوائح الحق ولوامع العشق
- نور الدين عبد الرحمن الجامى
- محمد علاء الدين منصور
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

لوائح الحقيقة

و

لمعـــات

نويسنده: نور الدين عبد الرحمن الجامى

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

لوائح الحق
ولوامع العشق

تأليـــــــف: نور الدين عبد الرحمن الجامى
ترجمة وتقديم: محمد علاء الـــــدين منصـــور



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٤٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 5 - 298 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

مقدمة

يطيب لي أن أقدم عملا قيمًا لصوفي إيراني بارز وأديب وشاعر فارسي مبرز عد آخر الشعراء الفرس العظام وهو نور الدين عبد الرحمن الجامي . ولد الجامي في خراسان في ٢٣ شعبان ٨١٧ هـ = ٧ نوفمبر ١٤١٤ م ، وتوفي في هراة في ١٨ محرم ٨٩٨ هـ = نوفمبر ١٤٩٢ ، وكان شاعرًا كبيرًا ومحققًا دارسًا دقيقًا وعارفًا لجميع تحقيق الحكماء وذوق أرباب الكشف والشهود .

شمل شعره ثلاثة دواوين وغزليات وسبعة مثنويات ومقدارًا من قطعات وأبيات متفرقة ، وله مؤلفات سامية الأسلوب في التفسير وإثبات النبوة والحديث وتراجم الصوفية والأولياء والنحو والصرف العربي والعروض والقافية والموسيقى وفن المعمىّ وسائر الفنون ، وذكر أن عدد تواليفه ستة وأربعون ، وقد لقي في حياته الذيوع في العالم الإسلامي واحترام السلاطين. وأما آثاره الشعرية فهي على ترتيب مراحل حياته (فاتحة الشباب) الذي جمعه عام ٨٨٤ هـ ، و (واسطة العقد) المجموع في ٨٩٤ هـ ، و (خاتمة الحياة) الذي جمعه عام ٨٩٦ هـ ، ومثنوياته السبعة أو العروش السبعة أو نجوم الدب الأكبر السبعة وهي (سلسلة الذهب) المؤلف في ٨٩٠ هـ في موضوعات فلسفية

وصوفية ودينية و (سلامان وأبسال) و (تحفة الأحرار) المنظوم فى ٨٨٦ هـ ، و(سبحة الأبرار) ، و(يوسف وزليخا) المؤلف فى ٨٨٨هـ و (ليلى والمجنون) الموضوع فى ٨٨٩ هـ ، و(خردنامه إسكندرى) أو رسالة العقل الإسكندرى ، وكلها تحوى موضوعات عرفانية ، وذوقية ، وحكمية ، وشرعية ، وتعليمية ، وتربوية ، وكلامية ، وأخلاقية ، وفلسفية، أو علوم عصره، وتتميز غزلياته العشقية العرفانية بالعذوبة والرقة مع العمق والدقة .

أما كتبه النثرية المكتوبة بالنثر الموزون الذى يمازجه النظم فمنها نفحات الأنس فى سيرة الصوفية (٨٨٣ هـ) ، وشواهد النبوة (٨٨٥ هـ) ، وشرح لمعات الشيخ العراقى الصوفى الشهيد (المتوفى ٦٨٨ هـ) المسمى بأشعة اللمعات (٨٨٦ هـ) ، واللوامع فى شرح فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨ هـ) وقد ألفه عام ٨٩٦ هـ ونقده لنصوص صدر الدين القونيوى تلميذ ابن عربى (المتوفى ٦٧٢ هـ) ، وتفاسيره لبعض سور القرآن ، وشرحه أربعين حديثًا ورسالة فى التوحيد هى رسالة التهليلية ورسالة فى مناسك الحج وشرحه قصائد عمر بن الفارض المصرى أبرز صوفية العشق الإلهى فى المسلمين (والمتوفى ٦٣٢ هـ) ، وشرحه البيت الأول للمثنوى المشهور لجلال الدين الرومى (توفى ٦٧٢ هـ) الذى يشرح حكاية الناى، وشرحه لرباعى للشاعر الفارسى أمير حسور الدهلوى (المتوفى ٧٢٢هـ) وشرحه كافية ابن الحاجب فى النحو وغير ذلك، وأشهر كتبه النثرية (بهارستان) أو (الروض) ويشمل – فى أسلوب موزون يجمع بين النثر والنظم – موضوعات تم إنشاؤها لتعليم النشء البلاغة والفصاحة ، أما الكتاب الذى نقدمه اليوم فهو جماع لثلاثة من تآليفه

النثرية أولها (لوائح الحقيقة) وهى خمسة وثلاثون لائحة فى شرح مقالات الحكماء الصوفية في الوحدة ومراتب الوجود خاصة ابن عربى والقونيوى وأتباعهما .وإذ لم يبتدع الجامى فكراً زائداً على هذين المفكرين لكنه أحسن استيعاب هذه النظرية على كثرة مقالاتها وعرضه خلاصة لفهمه لها فى أسلوب رشيق عميق جزل . ورصع لوائحه برباعيات موافقة من نظمه ، ولم يكفه هذه اللوائح ؛ فأنشا رباعيات فى نفس الفكر ثم شرحها لإثبات وحدة الوجود وبيان تنزلاتها إلى مراتب الشهود وكيفية إدراكها بالذوق والعرفان . وقد قدم هذين الكتابين على شرح له للقصيدة الميمية الخمرية لابن الفارض ، والذى تأثر به فى غزلياته كذلك ، وسماها باللوامع وهى الكتاب أو القسم الثالث للكتاب الذى نقدمه ليرسم سمات العشق الإلهى ومراتبه بقلم الموحد أو القائل بوحدة الوجود ؛ ولذلك كانت لوامعه تأكيداً وتفصيلاً لما سبقها من لوائح ورباعيات . لم يكن الجامى فى شرحه على شعر ابن الفارض ملتزمًا بظاهر قوله ، بل أضاف إليه من عقله ووجدانه مقدمة طويلة بلاغية عن العشق وما يتصل به ، ثم شرح شعره شرحاً مبدئيًا ثم أتبعه بتأويلات له تعمق رأى ابن الفارض وتربطه بمذهب الوحدة ، ولعل ابن الفارض لم يدر بخلده هذه التأويلات والإضافات بدليل اعتراف الجامى بقوله : (ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم بكذا هو) دبر كل شرح ، وقد وشح شرحه بنحو مائة وستين رباعية من نظمه ، وفصل شرحه فى سبع وعشرين لامعة ، ولم يزد شعر ابن الفارض عن واحد وثلاثين بيتًا بحيث يمكن القول إن شرح الجامى بلغ بشعر ابن الفارض نصابًا عاليًا من العمق والشمول والتدقيق والإحاطة وحلاوة الأسلوب وطلاوته ، وخلاصة

رأى ابن عربى فى وحدة الوجود ومراتبه أن الله والعالم شئ واحد أو بحد قوله : "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها" وقالوا : "ما ثمة غير" أى ليس غير الله ، ونفوا ما سواه . ويشرح الجامى ذلك بقوله : إن الموجود الحق والحقيقة المطلقة بل حقيقة الحقائق هى الذات الإلهية ، وهو حقيقة الأشياء والعالم وهو واحد فى حد ذاته لا يجوز عليه العدد ، لكنه باعتبار التجليات المتكثرة والتعينات أو المظاهر والمجالى المتعددة فى مراتب الوجود تارة يكون حقيقة الحقائق الجوهرية المتبوعة وتارة الحقائق العرضية التابعة ، إذن فذات واحدة هى التى تظهر متكثرة بواسطة الصفات المتعددة للجواهر والأعراض ، ولكن من حيث الحقيقة هى واحدة وليست فى الأصل متعددة ومتكثرة أو كثيرة ، وظهور الحق بعد مرحلة اللا تعين فى تعييناته يسمى الخلق أو العالم ؛ فالعالم هو ظاهر الحق والحق هو باطن العالم ، وكان العالم قبل ظهوره هو عين الحق وكان الحق بعد ظهوره هو عين العالم ، إن الحق - سبحانه - من ناحية الذات والحقيقة أخفى من كل شئ ، ولا يمكن لأحد ما أن يدرك ويفهم ويشهد ويعلم كنه ذاته وغيب هويته... ؛ وفى الجملة كل ما يسمى العقل والفكر والوهم والحواس والقياس ، فذات الله منزهة ومقدمة عنه ؛ لأن كل هذه محدثات ، ولا يستطيع المحدث أن يدرك الله غير المحدث وهذه مرتبة اللا تعيين ، وإذا امتنع إدراكه باعتبار بطونه وتجرده فيمكن إدراكه باعتبار ظهوره فى مراتب الإيجاد أو الكلية أو تنزلات ذاته العلية ، والمراتب الكلية أو تنزلات الحق على خمس درجات :

الأولى تسمى مرتبة أو حضرة الغيب والمعانى وهى حضرة الذات بالتجلى أو الظهور أو التعين الأول والثانى وما اشتمل عليه من الشئون

والاعتبارات أولاً ، والحقائق الإلهية والكونية ثانيًا . **والثانية** المقابلة للأولى تسمى الشهادة والحس وهى من حضرة عرش الرحمانية حتى العالم الأرضى وما بينهما من صور أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه . **والثالثة** التى تتلو مرتبة الغيب تنازلاً تسمى مرتبة الأرواح . **والرابعة** التى تتلو عالم الحس تصاعداً تسمى عالم المثال والخيال المنفصل. **والخامسة** التى تجمع ما سبقها تفصيلاً وهى حقيقة العالم ، وإجمالاً هى الصورة العنصرية الإنسانية أو المرتبة الجامعة لجميع المراتب وهى حقيقة الإنسان الكامل أو " الحقيقة المحمدية " ، وقد بنى الصادقون من الصوفية على عقيدتهم بالوحدة سلوكًا هو روح الإسلام وجوهره على غير ما يشاع عنه ؛ إذ نظروا فى كل شىء صورة الله فنبذوا العنصرية والتفرقة بين الناس على أساس الدين أو الجنس أو اللون ، وعشقوا الناس جميعًا وأحبوهم ؛ لأنهم بذلك يعشقون الذات الإلهية ، بل ترحموا على الحيوان وتشفقوا على الحشرات ؛ فكلها مجلى الحق وعينه ، ووحدوا بين الأديان لأنها وإن اختلفت فى الشكل اتفقت على المضمون ؛ فالمسلم فى مسجده والنصرانى فى ديره والمجوسى والهندوسى فى معبده يعرفون الحق ويعبدون المطلق ، ورأوا أن الظواهر والأشكال هى التى خلقت الكره والعدوان والإرهاب ، وإن صدق حبهم لله أحبوا جميع خلقه حتى المسىء منهم وغير المعتقد بالله ، وإن تقوى الله تعنى اتقاء دماء خلقه وأعراضهم وأملاكهم ، وكلنا من الله وإليه نرجع كما هو تعليم القرآن ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أى أتقاكم لأرواح خلقه وأملاكهم ؛ لأن تقوى الله تعنى عدم خيانته فى أماناته ، وخلقه هم خير

أماناته ؛ فحبهم هو حب الله . في السلوك الصوفي الذي يبدأ بالتوبة وذكر الله وينتهي إلى الفناء فيه أو ما يعرف بالمقامات والأحوال الصوفية، تلوح للسالك أولاً لوائح الحقيقة إلى عقله وإدراكه وهي الحقيقة الإلهية أو الوجود المطلق ؛ فإذا توحد بها توجّد وتذوق وانكشفت له لوامع العشق الإلهي ، فإذا زاد توجده وشهوده لله طلعت عليه طوالع الحقيقة المطلقة فـفني عن ذاته وبقي بها ، وهذا هو المقصد الأسنى والمطلب الأسمى .

(المترجم)

ربّ وفقنا للتكميل والتتميم

لاأحصى ثناء عليك ، كيف وكل ثناء يعود إليك ، جلّ عن ثنائى جناب قدسك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، ربّ لا نُجرى على ألسنتنا ثناءك ولا نحصى عليك مدحتك ؛ فكل ما في صحائف الكائنات من جنس الأثنية والمحامد عائد إلى جناب عظمتك وكبريائك ، فما تستطيعه أيدينا وألسنتنا أن تقدم ما يجدر بحمدك ومدحك ؟ أنت مثلما امتدحت نفسك ، وجوهر ثنائك هو ما نظمته بنفسك .

(رباعى)

حيثما كان كمال كبريائك

كان عالم النماء من بحر عطاياك

أى حد لنا فى حمدك وثنائك ؟

إنما الحمد والثناء عليك بما يحرى بك

وبقدر ما بلغ المتفاصح القائل عليه السلام " أنا أفصح " من علم الفصاحة وأقر بعجزه عن أداء ثنائك فليس بمكنة كل كليل لسان فتح مجارى الكلام ، وليس باستطاعة كل مضطرب عقل أداء بلاغة المقال ، بل إن إظهار الاعتراف بالعجز والقصور هنا هو عين القصور، ومشاركة

سيد الدين والدنيا (عليه السلام) فى مقالته تلك أمر بعيد عن حسن الأدب .

اللهم صلِّ على محمد ناصب لواء الحمد وصاحب المقام المحمود وعلى آله وأصحابه الفائزين ببذل المجهود لنيل المقصود وسلم تسليمًا كثيرًا .

(مناجاة)

إلهى إلهى خلصنا عن الاشتغال بالملاهى ، وأرنا حقائق الأشياء كما هى ، أزل عن بصر بصائرنا غشاوة الغفلة ، وأرنا الأشياء على حقيقتها ، ولا تظهر لنا العدم بصورة الوجود ، ولا تحجب عنا بالعدم جمال الوجود ، واجعل هذه الصورة الخيالية مرآة لتجليات جمالك لا علة للاحتجاب والابتعاد عنك ، وحول هذه النقوش الوهمية أساسًا لعلمنا وبصرنا بك لا آلة لجهالتنا وعمانا عنك ، حرماننا وهجراننا كله منا فلا تدعنا إلى أنفسنا وتكرم بتخليصنا من أنفسنا وتفضل بتعريفنا إليك .

(رباعى)

يا رب امنحنى قلبًا طاهرًا وروحًا عليمة

هبني آهات الليل وبكاء السحر

واجعلنى أفنى عن ذاتى في طريقى أولاً

ثم عرفنى إلى ذاتى وأنا فانٍ عنها

(رباعی)

يا رب اجعل كل الخلق فظاظًا معى

واجعلنى أنتحى جانبًا عن كل العالمين

واصرف وجه قلبى عن كل جهة

وحولنى فى عشقى إلى جهة واحدة ووجه واحد

(رباعی)

يا رب ماذا يصير لو خلصتنى من الحرمان

ماذا يحدث لو دللتنى على ربع العرفان

قد هديت كثيراً من المجوس من كرمك إلى الإسلام

فماذا يحدث لو جعلت مجوسيًا آخر مسلمًا

(رباعی)

يا رب أغننى عن الكونين

وأعل رأسى بتاج الفقر

واجعلنى محرم الأسرار فى طريق طلبك

اصرفنى عن طريق لا ينتهى إليك

(تمهيد)

هذه رسالة تُسمّى باللوائح ، فى بيان المعارف والمعانى التى لاحت على ألواح الأسرار والأرواح لأرباب العرفان وأصحاب الذوق والوجدان

بعبارات لائقة وإشارات رائقة ، والمتوقع ألا يُرى وجود المتصدّى لهذا البيان ، وألا يُجلس على بساط الإعراض وسماط الاعتراض ؛ لأنه ليس له فى هذا المقال نصيب غير منصب الترجمان، وليس له حظ غير مسلك البيان.

(رباعى)

أنا لا شىء بل أقل كثيراً من لا شىء

ولا يتأتى فعل من الذى هو لا شىء وأقل من لا شىء

أقول كل سر من أسرار الحقيقة

لأنه ليس لى حظ غير القول والشرح

(رباعى)

فى عالم الفقر زوال الصفة أولى

وفى قصة العشق زوال اللفظ والكلمة أولى

لأن من ليس أهلاً لذوق أسرار الوجود

إنما قوله بطريق الترجمة أولى

(رباعى)

نظمت جواهر عدة مثل المستنيرى العقول

فى ترجمة أحاديث لعلية الفحول

فلعل الرسل يبلغون هذه التحفة منى أنا الحقير إلى شاه همدان

(لائحة) " ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه " ، تعالى عن الكيف حين وهبك نعمة الحياة لم يخلق فى داخلك غير قلب واحد حتى تكون فى محبته ذا وجه واحد ، وتعرض عن دونه وتقبل عليه ، وليس لكى تمزق قلبك الواحد مائة قطعة وتشرد كل قطعة وراء مقصد ومقصود.

(رباعى)

يا من توجهت إلى قبلة الوفاء

وصار جلدك حجابا على مغزى (لماذا)

لا يحسن بك أن توجه قلبك إلى هذا وذاك

يكفيك قلب واحد وحبيب واحد

(لائحة) التفرقة عبارة عن تفريقك قلبك بواسطة تعلقك بالأمور المتعددة ، والجمع هو أن الانشغال بمشاهدة الواحد عن الجميع ، ظنت جماعة أن الجمع فى جمع الأسباب فظلوا حتى الأبد فى التفرقة، وأيقنت فرقة أن جمع الأسباب من أسباب التفرقة فنفضوا أيديهم من الجميع.

(رباعى)

يا من بقلبك ألف مشكلة بسبب الجميع

يضطرب قلبك المستريح بسبب الجميع

بما إن تفرقة القلب تحصل من الجميع

فدع قلبك إلى واحد وانفصل عن الجميع

(رباعی)

مـــا دمـت فی تفـــرقـــة ووســـواس

فـأنـت فی مـذهب أهـل الجـمع شـر الناس

لا والـلـه مـــــا أنـت نـاس بـل نسنـاس

ولا تـدری من جـــــهـلك أنـك نـسنـاس

(رباعی)

يا سالـك الطريق لا تُدْلِ بالكلام فی كل باب

ولا تطلب غيـرطريق الوصول إلى رب الأرباب

بما أن علة الـتـفـرقــة هی أسبــاب الدنيــا

فإن جـمع القلب لا تطلبه من جمع الأسـباب

(رباعی)

يا قلبی كيف يكون طلب الكمـال فی المدرسة

وكيف يكون التكـميل بالأصول والحكمـة والهندسة

كل فـكر خـلاف ذكـــر اللـه وســوســة

فـاستح مـن الله فـختـام هـذی الوسـوسـة

(لائحة) الحق - سبحانه وتعالى - بكل مكان حاضر وبكل حال ، ظاهر وباطن ، هو ناظر ، فما أشد الخسران إذا غضضت بصرك عن لقائه ، ونظرت إلى آخر غيره ، وتركت طريق رضائه ، وسلكت طريق غيره .

(رباعى)

أتى بالسحر ذاك حبيب الدامية أكبادهم

وقال يا من بسببك فى خاطرى هم ثقيل

ألا تستحى من أنك حين أتوجه إليك

تتوجه بنظرك إلى من دونى؟

(رباعى)

نحن جادون فى البحث عن طريق العش كل العمر

وطالبون لوصلك بجد وجهد كل العمر

وغمزة عين خيالك أمام نظرنا

أفضل من مشاهدة جمال الحسان كل العمر

(لائحة) ما سوى الحق – عز وعلا – فى معرض الزوال والفناء ٠ حقيقته معلوم معدوم وصورته موجود موهوم، بالأمس لم يكن له وجود وظهور ، واليوم له ظهور بلا وجود وواضح ما سوف يتجلى عنه بالغد ، فلماذا تدع زمام الانقياد إلى يد الآمال والأمانى ؟ ولماذا تستظهر بهذا الزخرف الفانى ؟ افصل قلبك عن الجميع ، واتصل بالله واستقل عن الخلق ، وارتبط بالحق فهو الذى كان من الأزل ، وسيظل حتى الأبد ، ولا تخدش وجه بقائه شوكة أى حادثة٠

(رباعى)

كل صورة جذابة ظهرت لك

سوف يختطفها الفلك من أمام ناظريك

فاذهب ودع قلبك لمن كان فى أطوار الوجود دائمًا معك وسوف يظل معك

(رباعى)

فتى من كنت أتجه إلى قبلة جماله

ومن كنت أنقش حروف همه على لوح قلبى

ولدى الميل إلى الجمال الخالد

لذا فأنا متبرم من الحسن الفانى

(رباعى)

الموجود الذى لن تبقى ناظراً إليه

ستصاب منه بسهم الفناء فى النهاية

وما سوف تنفصل عنه بالموت

أولى لك أن تنفصل عنه فى الحياة

(رباعى)

أيها السيد سواء المال أو البنون

ظهر لك كم هى مدة بقائه

فما أسعد من تعلق قلبه بمحبوب

ارتبط به أرواح أهل القلوب وقلوبهم

(لائحة) : جميل على الإطلاق حضرة ذى الجلال والإفضال ، كل جمال وكمال ظاهر فى جميع المراتب هو شعاع من جماله وكماله ؛ لأنه شعَّ هناك ولقى أرباب المراتب به سمة الجمال وصفة الكمال ، وكل من تعلم أنه عالم فعلمه من أثر علم العليم ، وحيثما ترى بصيراً فبصره ثمرة بصر البصير ، وبالجملة فكل الصفات صفاته تنّزلت من أوج الكلية والإطلاق وتجلت فى حضيض الجزئية والتقييد حتى تسلك من الجزء إلى الكل وتتجه من التقييد إلى الإطلاق ، وليس أن تحسب الجزء ممتازاً عن الكل وتتخلف بالمقيد عن المطلق.

(رباعى)

ذهبت للفرجة على بستان ذاك المبدع

فلما رآنى وسط البستان قال بلطف:

أنا الأصل وزهور البستان فرعى

فلماذا تعجز عن إدراك الأصل بسبب الفرع

(رباعى)

ماذا تفعل من لطف القد وصباحة الخد

وماذا تفعل أمام سلسلة الشعر المجعد

فى كـل طرف الجـــمـــال المطـلق منيـــر

فـمـاذا تفـعل أيهـا الغـــافل بالحـسن المقـيـد

(لائحة) : الإنسان إن كان بسبب الجسمانية فى غاية الكثافة ، لكنه بحسب الروحانية فى غاية اللطافة ، وإنما يأخذ حكم ما يتجه إليه ويقبل لون ما يتوجه إليه ، ولذا قال الحكماء : إذا تحلت النفس الناطقة بصور مطابقة للحقائق تحققت بأحكامها الصادقة وصارت كأنها الوجود كله ، وصارت عامة الخلائق بواسطة شدة اتصالها بهذه الصورة الجسمانية وكمال اشتغالها بهذا القالب الهيولانى بالشكل الذى لا يمكن أن تفصل نفسها عنهما ولا تستطيع التميز عنهما .

وجاء فى المثنوى لمولانا جلال الدين الرومى قدس الله سره :

(مثنوى)

يـا أخــى إنــك أنــت نــفــس فــكــرك

ومـــــا بـقـى بـعــــــده عـظـم ولحـم

فـــإن كـــان هـذان ورداً فـــفـكرك روض

وإن كـــانا شـــوكـًـــا فـــأنـت وقـود تَـنُّورٍ

إذن فعليك السعى وإخفاء ذاتك عن نظرك ، وأن تقبل على هذه الذات وتشتغل بهذه الحقيقة التى جميع درجات الموجودات مجالى جمالها ومراتب الكائنات مرائى كمالها، وأن تداوم على هذه الحال حتى تختلط هذه الذات والحقيقة بروحك ويزول وجودك من نظرك ؛ بحيث إذا

توجهت إلى ذاتك فقد توجهت إليها ، وإذا عبرت عن نفسك فقد عبرت عنها ويصبح المقيد مطلقًا ، ويصير (أنا الحق) (هو الحق).

(رباعى)

إذا مَــــرّ بـقلبك الـكل صـــــرت كـــلا

ولو كنت بلبـلا غـيـر مستـقر غـدوت بلبـلا

أنت جزء والحق كل ، وإن احترفت التفكير فى الكل أيامًا عدة

صرت كلا

(رباعى)

أنت مـقـصـودى من تمازج روحى بجـسـدى

وأنت مــقــصــودى من مــوتى وحــيــاتى

وأنت الذى تـخلد إذا زلت أنا عـن الوجــود

وأنت مــــقــــصــــودى حين أقـــول (أنا)

(رباعى)

مـــاذا يـحــدث لو أن رداء الحـــيـــاة انشق

وأنـار جـــــمــــــال وجـــــه المـطـلـق

والقـلـب فى سطـوات نوره مــســـــتــهـلك

والروح فى غـلـيـان شــوقــه مــسـتـغــرق

(لائحة) : عليك المداومة على التريض بهذه النسبة الشريفة على نحو ألا تخلو منها في أى وقت من الأوقات وبأى حالة من الحالات سواء في مجيئك وذهابك أو في طعامك ومنامك أو في سماعك ومقالك . وبالجملة عليك أن تكون حاضر وقتك في جميع سكناتك وحركاتك حتى لا يمضى وقتك باطلاً ، وأن تكون واقفًا على نفسك حتى لا تكون غافلاً .

(رباعى)

إذا لم نسفر عن وجوهنا سنة بعد سنة

فحاشا أن يكون لحبك وهم الزوال

فلى في كل موضع ومع كل إنسان وفي كل حال بقلبى أملك

وبعينى خيالك

(لائحة) : وكما أن امتداد النسبة المذكورة واجب بحسب شمول جميع الأوقات والأزمان فكذلك ازدياد كيفيتها بسبب التعرى من ملابسه الأكوان والتبرؤ من ملاحظة صور الإمكان أهم المطالب ، وهو لايتيسر إلا بجهد بليغ وجد تام في نفى الخواطر والأوهام ، وكلما زادت الخواطر انتفاءً زادت الوساوس اختفاء ، ويجب السعى إلى زيادة قوة تلك النسبة حتى تخيم الخواطر المتفرقة خارج ساحة الصدر ويشع ظهور وجود الحق سبحانه على باطنك فيأخذك منك ويخلصك من مزاحمة الأغيار فلا يعود بك الشعور بذاتك ولا يبقى شعورك بعدم شعورك بذاتك ، بل لم يبق إلا الله الواحد الأحد .

(رباعى)

يا رب مَـــدَدُ حــــتى أنجـــو من ثنائـيــتى
وأنفــصل عــن الشــر وأنجــو من شــر ذاتى
اجــعلنى فى حــيــاتى فـــانيـــا عن ذاتى
حــتى أنجــو من وجـــود ذاتى وعــدم ذاتى

(رباعى)

من له الـفناء مــسلـك والفــقــر مــشــرب
لا يعـود به كــشف ويقين أو مـعــرفـة ودين
وزال من الـوجــود ولـم يبق إلـهًـا إلا الـله
وهذا مـــعنى (الـفـــقـــر إذا تم هو الـلّه)

(لائحة) : الفناء هو ألا يبقى شعور بما سوى الله بسبب استيلاء ظهور وجود الحق على الباطل ، وفناء الفناء هو عدم الشعور بعدم الشعور ولا يخفى أن فناء الفناء مندرج فى الفناء لأن صاحب الفناء إذا شعر بفنائه لا يكون صاحب فناء ؛ لأنه صفة الفناء والموصوف بها من قبيل ما سوى الحق سبحانه إذن الشعور بها ينافى الفناء .

(رباعى)

إذا رمت بقاء ذاتك كنت كمن يطلب القشة بدل الحبة فى مخصول وجودك

وما دمت واعـيًا ولو بشـعرة من وجـودك فأنت ضـال عن طريق الفناء ولو ادعيت

(لائحـة) : يقـول الخـواجة عبد الله الأنصـارى : التـوحـيد ليس أن تكون غـريبًـا عن الله وإنما أن تكون منفـردًا بالله ، التـوحـيـد هو إفـراد القلب أى تخليصه وتجريده عن التعلق عما سوى الله سبحـانه سواء من ناحية الطلب والإرادة أو من جهة العلم والمعرفة ؛ أى ينقطع طلبه وإرادته عن كافة المطلوبات والمرادات وترتفع سـائر المعلومات والمعقـولات عن نظر بصيرته ، وأن يشيح الموحِّد بوجهه عن كل توجه ولا يعود به وعى وشعور إلا بالحق سبحانه .

(ربـاعـى)

التوحيـد فى عرف الصوفى يا صاحـب السِّيَر

هو تخليـص القلب من توجـهـه إلـى الغيـر

هو رمــز نهـايات مــقـامــات الطيــور

قلتـــه لك إن فـــهـــمت مـنطق الطـيــر[1]

(لائحـة) : مـا دام الإنسـان فى شـرك الهوى والهوس أسيرًا فإن دوام هذه النسـبة صـعب عليه ، لكن إذا ظهرت آثار جـذبات ألطف فـيه

(١) منطق الطيـر: مـثنوى رمـزى أراد فـيـه ناظمـه فـريد الدين العطـار – من أوائل الصـوفية الفرس – أن يمثل بطيور ثلاثين هى مقامـات الطريق وأحواله اجـتمـعت للقاء ملك الطير (العنقاء) فسافرت إليه ، وبعد مشقة وجدت أنها هى هو .

وتجافت مشغلة المحسوسات والمعقولات عن باطنه غلب عليه الالتذاذ بها على اللذات الجسمانية والراحات الروحانية، وزالت كلفة المجاهدة وتعلقت بروحه لذة المشاهدة، واستراح خاطره من مزاحمة الأغيار وترنّم لسان حاله بهذا اللحن :

(رباعى)

يا من أنت بلبل روحى السكرى أنت حسبى

ويا من أنت درجة همى الدانية أنت حسبى

إن لذات الدنيا جميعًا تطأها بقدميها

السعادة التى تحدث فأنت حسبى

(لائحة) : وحين يدرك الطالب الصادق فى نفسه مقدمة نسبة الجذبة وهى الالتذاذ بذكر الحق سبحانه ؛ فعليه أن يصرف جميع همته على تربيتها وتقويتها ، ويمنع نفسه من كل شىء ينافيها ، ويعد أنه – مثلاً – لو أنفق عمراً خالداً على تلك النسبة فإنه لم يفعل شيئًا ولم يؤد حقها كما ينبغى.

(رباعى)

عزف العشق على عود قلبى نغمة

فصرت بكليتى منها من المقدم إلى الرأس عشقًا

حقا لن أنهض بعهودى بتبعة أداء حق لحظة عشق واحدة

(لائحة) : حقيقة الحق سبحانه ليست غير وجوده ، ووجوده لا يجرى عليه الانحطاط والنقص.

إنه مقدس عن صفة التبدل والتغير ومبرأ عن سمة التعدد والتكثر ، على غير مثال لكل مثال لا يسعه العلم ولا العيان ، ظهرت عنه كل الكميات والكيفيات وهو بلا كم وكيف ، كل الأشياء تدركه لكنه خارج عن إحاطة الإدراك ، حارت عين الرأس فى مشاهدة جماله وأسودت عين السرِّ بلا ملاحظة كماله.

(رباعى)

يا من لهواه كنت بالروح سمحت

أنت فوق وأنت تحت وأنت لا فوق ولا تحت

ذات الجميع ليست غير الوجود والقائم بالوجود

وذاتك وجود ساذج ووجود بحت

(رباعى)

ما أكثر الأحباء الذين بلا لونٍ وتطلبهم يا قلبى فلا تقنع يا قلبى بأى لون

إن أصل كل الألوان يعود إلى من لا لون له

ومن أحسن صِبْغة من الله يا قلبى

(لائحة) : يطلق لفظ الوجود حينًا بمعنى التحقق والحصول ، وهما معان مصدرية ومفهومات اعتبارية ، وبهذا الاعتبار فهو من قبيل

المعقولات الثانية التى لا يكون أمامها أمر فى خارجها ؛ بل تعرض للماهيات فى التعقل ، كما حقق محققو الحكماء والمتكلمين، ويقال لفظ الوجود حينًا آخر ويراد به الحقيقة التى وجودها فى ذاتها ، والوجود الباقى للموجودات بها وفى الحقيقة ليس غيرها موجود خارجها ، وباقى الموجودات عارض عليها وقائم بها ، كما يشهد بذلك ذوق كبراء العارفين وعظماء أهل اليقين ، وإطلاق هذا الاسم على حضرة الحق - سبحانه وتعالى - بالمعنى الثانى وليس بالمعنى الأول .

(رباعى)

الوجود بقياس عقل أصحاب القيود

لا يظهر إلا عارضًا على الأعيان والحقائق

لكن بمكاشفات أرباب الشهود

الأعيان كلها عارضة ومعروضة الوجود

(لائحة) : الصفات غير الذات من حيث ما تفهمه العقول ، وهى عين الذات من حيث التحقق والحصول ؛ فمثلاً العالم ذات باعتبار صفة العلم والقادر ذات باعتبار القدرة، والمريد باعتبار الإرادة، وليس من شك أن هذه الصفات متغايرة بحسب مفهومها وتغاير أيضًا الذات لكن بحسب التحقق والوجود ، فهى عين الذات بمعنى أنه ليس ثمة وجودات متعددة بل وجود واحد والأسماء والصفات هى نِسَبُهُ واعتباراته .

(رباعی)

يا من ذاتك فى كل شأن طاهرة من كل شين

ولا يمكن القول بالكيف فى حقك ولا أنت هذا

من وجهة التعقل كل الصفات مغايرة لذاتك

ومن وجهة التحقيق فكلها عين ذاتك

(لائحة) : الذات من حيث هى ، عارية عن كافة الأسماء والصفات وبريئة من جميع النسب والإضافات ، واتصافه بهذه الأمور باعتبار توجهه إلى عالم الظهور فى التجلى الأول حين تجلى بذاته إلى ذاته على ذاته ، فتحققت نسبة العلم والنور والوجود والشعور ، وصارت نسبة العلم تقتضى العالمية والمعلومية ، واستلزم النور الظاهرية والمظهرية ، واستتبع الوجود والشهود الواجدية والموجودية والشاهدية والمشهودية ، وكذلك الظهور الذى يلزم النور مسبوق بالبطون ، وللبطون تقدم ذاتى وأولوية بالنسبة للظهور ، إذن تعين اسم الأول والآخر والظاهر والباطن ، وكذلك فى التجلى الثانى والثالث إلى ما شاء الله تتضاعف النسب والإضافات ، وكلما زاد تضاعف نسبه وأسمائه زاد ظهوره بل خفاؤه ؛ فسبحان من احتجب بمظاهر نوره وظهر بأسبال ستوره ، خفاؤه باعتبار صرافة ذاته وإطلاقها وظهوره باعتبار المظاهر والتعينات.

(رباعی)

قلت إلى حبيبى الوردى الوجه يا برعم الثغر

لا تخف وجهك كل لحظة كالمتدلل المتكسر

فضحك قائلاً إننى على نقيض حسان العالم

عيــان فى ستــرى ومســتور بلا ســتـار

(رباعى)

لا يمكـن رؤية وجـــــهـك بدون نـقـــــاب

ولا يمكن مـشـاهدة طلـعـتك بلا حــجـاب

ومـا دامت الشـمس في كمـال إشـراقـهـا فـلا يمكن النظر إلى جرمها

(رباعى)

حين ترفع الشمس راية النور على الفلك

يحـار البـصر إذا نـظر إلى ضيـائهـا من بعـد

وحين يظهر نورهـا من حجاب السـحاب

فــالنـاظر يجـتـليـه من غـيـر قـصـور

(لائحة): التعين الأول وحدة صرْف وقابلية محض تشتمل على جميع القابليات سواء قابلية التجرد من جميع الصفات الاعتبارية أو قابلية الاتصاف بكل الصفات . وباعتبار التجرد من جميع الاعتبارات إلى الغاية التى تكون من قابلية هذا التجرد فله مرتبة الأحدية أيضًا ، ويكون له البطون والأولية والأزلية ، وباعتبار اتصافه بجميع الصفات والاعتبار فله مرتبة الواحدية وله الظهور والآخرية والأبدية ، واعتبارات مرتبة الواحدية بعضها من قبيل اتصاف الذات بها باعتبار مرتبة الجمع

سواء تكون مشروطة بتحقق بعض الحقائق الكونية ووجودها كالخالقية والرازقية وغيرهما أو سواء لا تكون مشروطة كالحياة والعلم والإرادة وغيرها ، وهذه هي الأسماء والصفات الإلهية والربوبية. وصورة معلومية الذات المتلبسة بهذه الأسماء والصفات حقائق إلهية ، وتلبس الوجود الظاهر بها لا يوجب تعدد الوجود ، وبعضها من قبيل اتصاف الذات بها باعتبار المراتب الكونية مثل الفصول والخواص والتعينات التى هى مميزات الأعيان الخارجية إحداها عن الأخرى ، وصور معلومية الذات المتلبسة بهذه الاعتبارات حقائق كونية ، والتلبس الظاهر للوجود بأحكامها وآثارها يوجب تعدد الوجود ، وبعض من هذه الحقائق الكونية عند سريان الوجود فيها بأحدية جمع شئونها وظهور آثارها وأحكامها به له استعداد ظهور جميع الأسماء الإلهية صوب الواجب الذات على اختلاف مراتب الظهور شدة وضعفًا وغالبية ومغلوبية مثل أكمل أفراد البشر من الأنبياء الأولياء ، ولبعضها استعداد ظهور بعض دون بعض على الاختلاف المذكور كسائر الموجودات. وحضرة الذات بأحدية جمع شئونها الإلهية والكونية أزلاً وأبداً سارية فى جميع هذه الحقائق وهى تفاصيل مرتبة الواحدية ومتجلية سواء فى عالم الأرواح أو فى عالم المثال أو فى عالم الحس والشهادة وسواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، والمقصود من كل هذا التحقق والظهور هو كمال الأسماء الذى هو كمال الجلاء والاستجلاء ، كمال الجلاء هو ظهوره بحسب هذه الاعتبارات، وكمال الاستجلاء هو شهوده لذاته بحسب نفس هذه الاعتبارات، وهو ظهور وشهود عيانى عينى كالظهور والشهود المجمل فى المفصل بخلاف

الكمال الذاتي وهو ظهور الذات لنفسها في نفسها لنفسها بلا اعتبار الغير والغيرية ، وهو ظهور علمي غيبي مثل ظهور المفصل في المجمل.

والغنى المطلق لازم للكمال الذاتي ، ومعنى الغنى المطلق هو أن تظهر الشئون والأحوال والاعتبارات للذات بأحكامها ولوازمها على وجه كلي جملي في جملة مراتب الحقائق الإلهية والكونية للذات في بطونها واندراج الكل في وحدتها مشاهد وثابت بجميع صورها وأحكامها كما ظهرت وتظهر وتثبت وتشاهد في المراتب ، والذات الإلهية بهذه الحيثية مستغنية عن وجود جميع الموجودات كما قال سبحانه ﴿ إن الله لغنى عن العالمين ﴾

(رباعى)

ذيل غنى العشق طاهر وطاهر عن لوث الحاجة إلى قبضة تراب وبما أنه هو المتجلي والناظر جميعًا فأى خوف من عدم وجودنا نحن وأنت ؟

(رباعى)

كل شأن وصفه لوجود الحق يتصف بها في ذاته هي جميعًا معلومة ومحققة .

ومن ذلك له الغنى المطلق عن رؤية المقيدات المحتاجة لذاته

(رباعى)

الواجب الوجود مستغن عن وجود الخير والشر والواحد مستغن عن مراتب العدد.

وحين يرى الباقى الجميع فى ذاته يستغنى عن رؤيتها خارج ذاته

(لائحة) : حين ترفع تشخصات أفراد النوع المندرجة تحت الأحياء وتعيناتهم يجتمع أفراد كل نوع فيها ، وحين ترفع مميزات تلك الأنواع - وهى الفصول والخواص - تجتمع جميعًا فى حقيقة الأحياء ، وحين ترفع مميزات الأحياء وما يندرج معها تحت الجسم النامى تجتمع جميعًا فى الجسم النامى ، وحين ترفع مميزات الجسم النامى وما يندرج معه تحت الجسم يجتمع جمعها فى الجسم النامى ، وحين ترفع مميزات الجسم النامى وما يندرج معه تحت الجسم يجتمع جمعها فى حقيقة الجسم ، وحين ترفع مميزات الجسم وما يندرج معه تحت الجواهر أعنى العقول والنفوس يجتمع جمعها فى حقيقة الجوهر ، وحين ترفع ما به الامتياز الجوهر والعرض يجتمع الجميع تحت الممكن وحين ترفع مابه الامتياز الممكن والواجب فى الموجود المطلق وهو عين حقيقة الوجود والموجود بذاته لا بوجود زائد عن ذاته . والوجوب صفته الظاهرة والإمكان صفته الباطنة أعنى الأعيان الثابتة الحاصلة بتجليه على نفسه متلبسًا بشئونه ، وهذه المميزات - سواء الفصول والخواص أو التعينات والتشخيصات - كلها شئون إلهية كانت مندرجة ومندمجة فى وحدة الذات أولاً ، وظهرت فى مرتبة العلم بصورة الأعيان الثابتة وثانيًا فى

مرتبة العين بواسطة تلبُّس أحكامها وآثارها بظاهر الوجود وهو المجلى والمرآة أخذت صورة الأعيان الخارجية لباطن الوجود ؛ إذن فليس فى الخارج إلاحقيقة واحدة تبدو بواسطة تلبسها بالشئون والصفات متكثرة ومتعددة بالنسبة إلى تلك المحبوسة فى ضيق المراتب والمقيدة بأحكامها وآثارها .

(رباعى)

درسنا مجموعة الكون بقانون الدرس وتصفحناها ورقة بعد ورقة

فلم نر ولم نقرأ فيها فى الحق غير ذات الحق وشئون الحق الذاتية

(رباعى)

إلى متى حديث الجسم والأبعاد والجهات

وحتَّامَ الحديث فى المعدن والأحياء والنبات

لا توجد غير ذات فقط محققة وليس ذوات

وما ترى غير كثرة وهمية للشئون والصفات

(لائحة) : ليس المراد باندراج كثرة الشئون فى وحدة الذات اندراج الجزء فى الكل أو اندراج المظروف فى الظرف ؛ وإنما المراد هو اندراج الأوصاف واللوازم فى الموصوف والملزوم كاندراج النصفية والثلثية والربعية والخمسية إلى مالا نهاية فى ذات العدد واحد ، لأن هذه النسب مندرجة فيه وليس لها ظهور أصلاً ما دامت لا تقع بتكرار

الظهور فى المراتب الجزئية لاثنين وثلاثة وأربعة وخمسة ؛ ومن هنا نعلم أن إحاطة الحق سبحانه وتعالى بجميع الموجودات كإحاطة الملزوم باللوازم ، وليس كإحاطة الكل بالجزء أو الظرف بالمظروف تعالى الله عما لا يليق بجناب قدسه .

(رباعى)

فى ذات الحق اندراج الشأن معروف

الشأن كالصفة والحق هو الموصوف

فتذكر هذه القاعدة لأن الله تعالى ليس جزءً ولا كلاً ولا ظرفًا ولا مظروفًا

(لائحة) : ظهور الشئون والاعتبارات وخفاؤها بسبب تلبسها بظاهر الوجود ولا يوجب عدمها تغير حقيقة الوجود وصفاته الحقيقية وإنما ينبنى على تبدل النسب والإضافات ؛ وهذا لايقتضى التغير فى الذات ، فإذا نهض عمرو من يمين زيد وجلس على يساره تختلف نسبة زيد معه لكن ذاته تظل قائمة مع صفاته الحقيقية كما هى ، وكذلك حقيقة الوجود لا تنقص فى المظاهر الحسية ، ونور الشمس مع أنه ينير الطاهر والنجس ، فلا يتسرب أى تغير على بساطة نورها فلا يكتسب رائحة من المسك ولا لونًا من الورد ، ولا يعيبه الشوك ولا يشينه الصوان .

(رباعى)

حين تزين الشمس الدنيا بنورها

تشع بضوئها على الطاهر والنجس

فلا يتلوث نورها من النجس

ولا يزيد طهرها من الطاهر

(لائحة) : لا يكون المطلق بغير المقيد ، ولا يحدث المقيد بدون المطلق ، لكن المقيد محتاج إلى المطلق والمطلق مستغن عن المقيد ؛ إذن فالاستلزام من الطرفين والاحتياج من طرف واحد كما هو الحال مع حركة اليد وحركة المفتاح الذى باليد .

(رباعى)

يا من للإنسان حياة فى حرم قدسك

ظهر العالم بك وأنت نفسك غير ظاهر

نحن وأنت منفصلون عن بعضنا ولكننا نحتاج إليك وأنت عنا مستغن

وأيضاً المطلق يستلزم المقيد من المقيدات على سبيل البدلية ، ولا يستلزم مقيداً مخصوصاً ، وبما أن ليس للمطلق بدل فهو ولا غيره قبلة احتياج كافة المقيدات .

(رباعى)

لا يمكن الحصول على قربك بالأسباب والعلل

ولا يمكن الوصول إليك بلا واسطة فضلك الأزلى

ويمكن أن نجد بديلاً لكل موجود

إلا أنت فأنت بلا بديل وبدل

(رباعى)

يا من ذاتك الرفيعة ليست جوهراً أو عرضًا

ومن فضلك وكرمك ليس معللاً بغرض

أنت عوض عمن لا يكون ويوجد

ولا أحد لست أنت عوضًا عنه

واستغناء المطلق عن المقيد باعتبار الذات وإلا فإن ظهور أسماء الألوهية وتحقق نسب الربوبية بغير المقيد من المحالات.

(رباعى)

يا من جمالك هو باعث شوقى وطلبى

ومطلوبيتك هى فرع لطلبى

فإذا لم تكن مرآة محبتى لك

لا يظهر جمال محبوبيتك

لا بل إن الحق هو المحب كما هو المحبوب وهو الطالب ، فهو المطلوب والمحبوب فى تمام جمع الأحذية ، وهو الطالب والمحب فى مرتبة التفصيل والكثرة.

(رباعى)

يا من ليس سير إلا لك

ولا يخلو منك مسجد ودير

رأيت جميع الطلاب والمطلوبين

فوجدتهم جميعًا أنهم همو أنت وليس غيرك

(لائحة) : حقيقة كل شىء هى تعين وجوده فى حضرة العلم باعتبار الشأن الذى ذاك الشىء هو مظهره ، أو أن الوجود نفسه يتعين بنفس ذاك الشأن فى تلك الحضرة ، والأشياء الموجودة عبارة عن تعيُّنات الوجود باعتبار الانصباغ الظاهر للوجود بآثار حقائقها وأحكامها أو أن نفس الوجود يتعين بنفس هذه الاعتبارات ، بحيث تظل الحقائق دائمًا مختفية فى باطن الوجود ، وتظهر أحكامها وآثارها فى ظاهر الوجود ، لأن زوال الصور العلمية من باطن الوجود محال وإلا لزم الجهل تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا

(رباعى)

نحن وجوه الوجود واعتباراته

في الخارج والعلم العارض على ذات الوجود

فى أستار ظلمة العدم مستورون

لكن صورتنا ظهرت على مرآة الوجود

إذن فكل شيء متعين بحسب حقيقة الوجود أو الوجود أو تعين العارض للوجود ؛ والتعين هو صفة المتعين ، والصفة باعتبار المفهوم مع أنها غير الموصوف فهو عينه باعتبار الوجود والتغاير بحسب المفهوم والاتحاد بحسب الوجود يوجبان صحة الحمل.

(رباعى)

الجار والجليس ورفيق السفر كلهم أنت

ودلق الشحاذ وأطلس الملك هما أنت

وفى جمع الفرق وخلوة الجمع

كلهم أنت بالله ثم بالله

(لائحة) : مع أن حقيقة الوجود مقولة ومحمولة على جميع الموجودات الذهنية والخارجية لكن لها مراتب متفاوتة بعضها فوق بعض ، ولها أسماء وصفات ونسب واعتبارات خاصة في كل مرتبة

لا توجد فى سائر المراتب ؛ مثل : مرتبة الألوهية ، والربوبية ، ومرتبة العبودية ، والخالقية ؛ إذن فإطلاق أسماء مرتبة الألوهية مثلاً مثل (الله) و(الرحمن) وغيرهما على المراتب الكونية هو عين الكفر ومحض الزندقة ، وكذلك إطلاق الأسماء الخاصة بالمراتب الكونية على مرتبة الألوهية هو غاية الضلال ونهاية الخذلان.

(رباعى)

يا من تظن أنك صاحب تحقيق

وفى صفة الصدق واليقين صديق

كل مرتبة فى الوجود لها حكم

وإذا لم تحفظ المراتب فأنت زنديق

(لائحة) : الموجود الحقيقى ليس أكثر من واحد وهو عين الوجود الحق والوجود المطلق ، لكن له مراتب كثيرة : (أولها) : مرتبة اللاتعيين وعدم الانحصار والإطلاق من كل قيد واعتبار ، وهو من هذه الحيثية مُنزّه عن إضافة النعوت والصفات ، مقدس عن دلالة الألفاظ واللغات ، وليس للنقل فى نعت جلاله لسان العبارة وليس للعقل فى كنه كماله إمكان الإشارة ، أرباب الكشف فى حجاب عن إدراك حقيقته ومثلهم أصحاب العلم فى اضطراب بسبب امتناع معرفته وغاية دلالته عدم الاستدلال ونهاية عرفانه الحيرة.

(رباعى)

يا من فيك كل بيان وعيان معدوم

واعتقاد كل يقين وظن معدوم

لا يمكن الاستدلال مطلقًا على ذاتك

حيثما تكون فكل استدلال معدوم

(رباعى)

مع أن روح العارف عليمة

لكن أنّى لها السير فى حرم قدسك

إن أيدى كافة أهل الكشف وأرباب الشهود قاصرة عن إدراك ذيل إدراكك

(رباعى)

هذا العشق الذى هو جزء منا لاينفك

حاشا بعقولنا يُدْرك

فالأفضل أن يتنفس صبح اليقين من نوره ويخلصنا من ظلام الشك

(المرتبة الثانية) : هى تعينّه بتعيُّن جامع لجميع التعينات الفعلية الوجودية الإلهية ، وجميع التعينات الانفعالية الإمكانية الكونية ، وتسمى هذه المرتبة بالتعين الأول ؛ لأنه هو أول تعيُّنات حقيقة الوجود ، وفوقها

مرتبة اللاتعيين ولا غيرها ، (المرتبة الثالثة) : هى أحدية جمع جميع التعينات الفعلية المؤثرة وهى مرتبة الألوهية ، (المرتبة الرابعة) : وهى تفصيل مرتبة الألوهية وهى مرتبة أسمائها وحضراتها واعتبار هاتين المرتبتين من حيث ظاهر الوجود الذى هو وجوب وصفه الخاص ، (المرتبة الخامسة) : أحدية جمع جميع التعينات الانفعالية التى من شأنها التأثر والانفعال وهى المرتبة الكونية الإمكانية ، (المرتبة السادسة): وهى تفصيل المرتبة الكونية أو مرتبة العالم والعروض ، وهاتان المرتبتان باعتبار ظاهر العلم الذى ومن لوازمه الإمكان والذى هو تجليه على ذاته بصور الحقائق وأعيان الممكنات ؛ إذن فى الحقيقة ليس الوجود أكثر من واحد يسرى فى جميع هذه المراتب والحقائق المترتبة فيها ، وهو فى هذه المراتب والحقائق عين هذه المراتب والحقائق ، حيث كانت هذه المراتب والحقائق فيه عينه ، وحيث كان الله ولم يكن معه شىء.

(رباعى)

أتود أن تفهم حال الوجود الظاهر فى كل شىء مع كل شىء ؟

اذهب وانظر إلى الحباب فوق الخمر كيف تكون خمره فيه وكيف يكون هو فيها

(رباعى)

على لوح العدم لوائح نور القدم لائحة وليس أحد فى هذا السر مَحْرمًا مثل آدم

لا تحسبن الحق مستقلاً عن العالم لأن العالم في الحق حقٌ.
والحق فى العالم ليس غير العالم

(لائحة) : حقيقة الحقائق هى الذات الإلهية لله تعالى شأنه ، وهو حقيقة الأشياء أيضًا وهو واحد في حد ذاته لا يجوز عليه العدد ، لكنه باعتبار التجليات المتكثرة والتعينات المتعددة فى المراتب تارة يكون حقيقة الحقائق الجوهرية المتبوعة وتارة الحقائق العرضية التابعة ، إذن فذات واحدة هى التى تظهر متكثرة بواسطة الصفات المتعددة للجواهر والأعراض ولكن من حيث الحقيقة هى واحدة وليست فى الأصل متعددة ومتكثرة .

(رباعى)

يا من تستمع لكلام هذا وكلام ذاك

إن ظنك بالثنائية لهو دليل البعد والسخط

إن فى جملة الكائنات بلا سهو وغلط

عينًا واحدة وحسب وذاتا واحدة فقط

عين الواحد هذه من حيث التجرد والإطلاق من التعينات والتقيدات المذكورة هى الله الحق ، ومن حيث التعدد والتكثر الذى يظهر بواسطة تلبسها بالتعينات هى الخلق والعالم ، إذن فالعالم هو ظاهر الحق والحق هو باطن العالم ، كان العالم قبل ظهوره هو عين الحق والحق بعد ظهوره هو عين العالم ؛ إذن فتوجد حقيقة واحدة فى الواقع ، والظهور والبطون

والأولية والآخرية من نسبها واعتباراتها (هو الأول والآخر والظاهر والباطن).

(رباعى)

الحق على شكل الحسان القاطعات الطريق على العشاق

لا بل إن الحق عيان فى جميع الآفاق

والعالم الذى وجد بوجه التقييد

الله هو الحق جميعا من جهة الإطلاق

(رباعى)

لما صار الحق عيانًا فى تفاصيل الشئون

صار هذا العالم المليء بالربح والخسارة مشهوداً

وإذا رجع العالم والعالمون

أتى الحق باديًا برتبة الإجمال

(لائحة) : يقول الشيخ رضى الله عنه فى الفصّ الشعبى إن العالم عبارة عن الأعراض المجتمعة فى عين الواحد الذى هو حقيقة الوجود ، والتى تتبدل وتتجدد مع الأنفاس والآنات ، ففى كل آية يتجه عالم إلى العدم ويأتى مثله إلى الوجود ، وأكثر أهل العالم عن هذا المعنى غافلون كما قال سبحانه : (بل هم فى لبس من خلق جديد) ولم يطلع على هذا المعنى من أرباب النظر غير الأشاعرة فى بعض أجزاء العالم

وهى الأعراض ؛ حيث قالوا : (الأعراض لا تبقى زمانين) ، وغير الحسبانية المعروفين بالسوفسطائية فى كافة أجزاء العالم سواء الجواهر أو الأعراض ، وأخطأ كل من الفريقين من وجه ؛ أما الأشاعرة فمبعث خطئهم هو أنهم أثبتوا الجواهر المتعددة وراء حقيقة الوجود وأقاموا الأعراض المتبدلة المتجددة فيها ، ولم يعلموا أن العالم ليس بجميع أجزائه إلا الأعراض المتجددة المتبدلة مع الأنفاس التى تجمعت فى عين الواحد وتزول فى كل آن من هذه العين ويتلبس أمثالها بها ، إذن يقع الناظر فى الخطأ بواسطة تعاقب الأمثال ويظن أنها أمر واحد مستمر كما يقول الأشاعرة فى تعاقب الأمثال على محل العرض من غير خُلوّ آن من شخص من العرض مماثل للشخص الأول فيظن أنها أمر واحد مستمر.

(رباعى)

هو بحر لا ينقص ولا يزيد

والأمواج عليه ذاهبة وآتية

والعالم بما أنه عبارة عن نفس هذه الأمواج فلا يكون زمانان

بل آنان مستمران

(رباعى)

العالم اذا لم تكن عاريا من الاعتبار هو جهر جار بأطوار طارئة

وفى كل أطوار الجهر الجارى سر سارٍ وهو حقيقة الحقائق

وأما خطأ السوفسطائية : فهو أنه مع قولهم بالتبدل فى العالم بأسره لم ينتبهوا إلى وجود حقيقة واحدة تتلبس بالصور وتظهر أعراض العالم والموجودات المتعينة متعددة وليس لها ظهور فى المراتب الكونية بغير هذه الصور والأعراض ، كما أن ليس لها وجود فى الخارج بدونه.

(رباعى)

السوفسطائية الجاهلون بالعقل يقولون إن العالم خيالى فان

أجل إن العالم كله خيال ولكن تبدو دائمًا فيه حقيقة متجلية

وأما أرباب الكشف فيرون أن حضرة الحق سبحانه وتعالى يتجلى فى كل نفس بتجلٍ مختلف وليس فى تجليه أصلاً تكرار ؛ أى أنه لا يتجلى فى آنين بتعيُّن واحدٍ وشأن واحد بل يظهر فى كل نفس بتعين مختلف ويتجلى فى كل آن بشأن آخر.

(رباعى)

الوجود الذى ليس عيانًا فى شأن فى كل آن ويتجلى فى كل آن فى شأن آخر

وإذا أردت برهانًا على قولى هذا فأقرأ من كلام الحق (كل يوم هو فى شأن)

والسر فى ذلك هو أن لحضرة الحق سبحانه أسماء متقابلة بعضها لطيفة وبعضها قهرية وكلها دائمًا فى عمل ، ولا يجوز عليها تعطيل قط ؛

إذن فحين تصير حقيقة من الحقائق الإمكانية بواسطة حصول الشروط وزوال الموانع مستعدة للوجود فإن رحمة الرحمانية تدركها وتفيض عليها بالوجود ويتعين ظاهر الوجود بواسطة تلبسه بآثار تلك الحقيقة وأحكامها بتعين خاص ويتجلى بحسب ذاك التعين ، وبعد ذلك بسبب قهر الأحدية الحقيقية التي تقتضي اضمحلال التعينات وآثار الكثرة الصورية تنسلخ من ذاك التعين ، وفي نفس ذاك الانسلاخ على مقتضى رحمة الرحمانية تتعين بتعيين آخر خاص يماثل التعين السابق ، تضمحل في آن ثانٍ بقهر الأحدية ويحصل برحمة الرحمانية تعين آخر ، وهكذا إلى ما شاء الله ؛ إذن لا يحدث التجلي في آنين فقط بتعيين واحد ويمضي عالم إلى العدم في كل آنٍ ويظهر آخر مثله في الوجود ، لكن المحجوب بسبب تعاقب الأمثال وتناسب الأحوال يظن أن وجود العالم على حال واحدة وعلى وتيرة واحدة في الأزمنة المتوالية.

(رباعي)

سبحان الله ما أعظمه ربًا ودودًا
مستجمعًا للفضل والكرم والرحمة والجود
في كل لحظة يسوق عالمًا إلى العدم
ويدخل آخر مثله في نفس اللحظة إلى الوجود

(رباعى)

أنواع العطاء مع أن الله يهبها لكنه يهب كل اسم عطاءً مستقلاً

ففى كل آنٍ يهب حقيقة العالم اسم الفناء مرة واسم البقاء مرة أخرى

والدليل على أن العالم هو مجموع الأعراض المجتمعة فى عين الواحد وهو حقيقة الوجود : هو أن على الرغم من أن حقائق الموجودات تُحَدَّدُ لكن لا يظهر فى حدودها غير الأعراض : فمثلاً حين يقال إن الإنسان حيوان ناطق والحيوان جسم نامٍ حساس متحرك بالإرادة والجسم هو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ، والجوهر موجود ليس فى موضوع والموجودات لها التحقق والحصول ، فكل ما يذكر فى هذه الحدود من قبيل الأعراض إلا تلك الذات المبهمة الملحوظة فى هذه المفهومات ؛ لأن معنى الناطق أنه ذات لها النطق ومعنى النامى ذات لها النمو ، وهكذا فى البواقى وهذه الذات المبهمة هى عين وجود الحق والوجود الحقيقى القائم بذاته والمقوم للأعراض ، وقول أرباب النظر إن أمثال هذه المفهومات ليست فصولاً بل لوازم الفصول يعبر بها عن الفصول بواسطة عدم القدرة على التعبير عن حقائق الفصول بالنحو الذى يميزها عن غيرها بغير هذه اللوازم أو اللوازم الأخفى منها ، هذا القول مقدمة ممنوعة ومقالة غير مسموعة ، وإذا سلمنا جدلاً بهذا فإن كل ما هو ذات بالنظر إلى جوهره سوف يكون عرضًا قياسًا على عين الواحد تلك ؛ لأنه إذا دخل فى حقيقة الجوهر خرج عن تلك العين وقام بها ، والدعوى بأن هنا أمرًا جوهريًا وراء عين الواحد فى غاية السقوط

خاصة حين يشهد كشف أرباب الحقيقة المقتبس من مشكاة النبوة بخلاف تلك الدعوى ويعجز المخالف إذا قام الدليل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(رباعى)

لا تطلب تحقيق المعانى من العبارات

ولا تبحث عنه بلا رفع القيود والاعتبارات

إن أردت (الشفاء) من علة الجهل فلا تطلب (قانون) لنجاة من (الإشارات)

(رباعى)

قنعت بالوقوف على (المواقف) فمنعك قصد (المقاصد) عن مقصدك

لا تطلع قط (أنوار الحقيقة) عن (المطالع) ما لم تقم (بكشف الحجب)(١)

(رباعى)

اجهد فى رفع الحجب لا فى جمع الكتب

لأن بجمع الكتب لا يحصل رفع الحجب

(١) فى هذا الرباعى وسابقه ذكر لأهم تواليف الحكمة فى المشرق الإسلامى خاصة مؤلفات ابن سينا

أين كـــان فى طـى الكتـب نشـــوة الحب ؟

اطوهـا جـــمـــيـــعًـــا وعـــد إلى الـه وتُبْ

(لائحة) : أعظم الحجب وأكثف النقب لجمال الوحدة الحقيقية هى التقيدات والتعددات التى وقعت فى ظاهر الوجود بواسطة تلبسها بأحكام الأعيان الثابتة وآثارها فى حضرة العلم الذى هو باطن الوجود ، ويبدو للمحجوبين أن الأعيان وجدت فى الخارج بينما لم يدركه علم من الوجود الخارجي ، وكانوا دائمًا ولا يزالون يعتقدون بعدمهم الأصلى وما هو موجود ومشهود إنما هو حقيقة الوجود ، لكن باعتبار تلبسها بأحكام الأعيان وآثارها وليس من حيث تجردها منها؛ لأن البطون والخفاء من هذا النحو من لوازمها إذن فى الحقيقة فإن حقيقة الوجود لا تزال على وحدتها الحقيقة ، وكانت أزلاً وسوف تبقى أبداً لكن فى نظر الأغيار بسبب احتجابها بالصورة فإن كثرة الأحكام والآثار تبدو متقيدة ومتعينة وتظهر متعددة ومتكثرة.

(رباعى)

الوجـــود البـــاقى بحـــر مـــائج

لايرى أهل العـالم من ذاك البـحر غيـر موجـه

انظر إلى الموج فـى باطن البـحـر فـيظهـر علـى ظاهر البـحـر

ويختفى البحر فى موجه

(رباعى)

انظر إلى السر الإلهى وقد اختفى فى العالم كماء الحياة المختفى فى الظلام

ظهر من البحر سمك كثير حتى اختفى البحر فى كثرة السمك

(لائحة) : كلما يظهر شىء فى شىء آخر يكون الظاهر خلاف المظهر أى أن الظاهر شىء والمظهر شىء آخر ، وأيضًا ما يظهر من الظاهر فى المظهر هو شبح وصورة لا ذات وحقيقة إلا الوجود الحق والوجود المطلق الذى حينما يظهر يكون عين المظاهر وهو بذاته ظاهر فى كافة المظاهر.

(رباعى)

عجبٌ قولهم إن القلب مرآة الاعتقاد

وعجيب أن تظهر فيه وجوه الحسان المفاخرات

إن تظهر وجوه الحسان فى المرآة فلا عجب فيه وإنما العجب أن تكون أنت نفس الحسناء ونفس المرآة

(لائحة) : حقيقة الوجود بجميع الشئون والصفات والنسب والاعتبارات والتى هى حقائق كافة الموجودات تسرى فى حقيقة كل موجود ؛ ولهذا قيل (كل شىء فيه كل شىء) ، ويقول صاحب (كلشن راز) أو (روضة الأسرار) :

إذا شـــقـــت قلـب قطـرة واحـــدة

خـــرجت منه مـــائة بحـــر صـــافٍ

(رباعـى)

الوجـــود الذى هـو ذات اللـه العـــزيزة

كل الأشياء فيهـا وهى أيضًا فى كل الأشـياء

وهذا شـــرح قـــول العـــارف حين يقـــول

كل الأشـــيـــاء مندرجـــة فى كل الأشـــيـــاء

(لائحة) : كل قدرة أو فعل يصدر ظاهراً إنما فى الحقيقة يظهر من الحق الظاهر فى تلك المظاهر وليس يظهر من هذه المظاهر.

يقول الشيخ رضى الله عنه فى (الحكمة العلية) : (لا فعل للعين بل الفعل لربها فيها فاطمأنت العين أن يضاف إليها فعل) ؛ إذن فنسبة القدرة والفعل إلى العبد بسبب ظهور الحق بصورته وليس بسبب نفسه هو فاقرأ (والله خلقكم وما تعلمون) ، واعلم أن الوجود والقدرة والفعل منك هم من الله تعالى.

(رباعـى)

كـل العـــجـــز والفـناء مـطلـوب منـا

والوجـــود وتـوابعـــه مـــسلوب منا

إنـه هو الـذى ظـهـــــر فى صــــــورتنـا

فـــانـتـــســـبت قـــدرتـه وفـــعـله إلينا

(رباعـى)

بما أن ذاتك منفـيـــة يا صـــاحب الفـــهم

اسكت عـن نسبـة الأفـعـال إلى نفـسك

واســمع مــثــلاً طيــبًــا ولا تـعْــبسْ

ثـبِّـتْ الـعـــــــرش أولا ثـم انـقـش

(رباعـى)

إلى مـتى وصـفك لنفسك بـرغم الحاسـد

وإلى متى يبقى ترويج مـثل هذا المتاع الكاسد

أنت مـــعــدوم وخـيـــال الوجـــود منك

فـاسـد وإلى مـــتى هذا الخـيـال الفـاسـد

(لائحـة) : بما أن الصـفـات والأحـوال والأفـعـال التى تظهـر فى المظاهر هى فى الحقيقة مضافة إلى الحق الظاهر فى تلك المظاهر ؛ إذن فإنه يقع أحيانًا فى بعضها شر ونقص ، فيمكن أن تكون من أجل إعدام أمر آخر لأن الوجود من حيث هو وجود خير محض والشر الذى يتوهم من كل أمـر وجـودى إنما بسبب إعدام أمـر وجـودى آخـــر لا بسـبب ذاك الأمر الوجودى من حيث هو أمر وجودى

(رباعى)

كل نعت من قبيل الخير والكمال

هو من نعوت الذات الطاهرة المتعالية

وكل وصف فى حساب الشر والوبال

مآله إلى قصور القابليات

وادعى الحكماء ضرورة وجود الخير المحض وأوردوا أمثلة عديدة لتوضيح دعواهم وقالوا : إن البرد – مثلاً – المفسد للثمار وهو شر بالنسبة للثمار ، فإنما شريته ليست بسبب كيفية من كيفياته ؛ لأنه من هذه الجهة كمال من الكمالات وإنما لأجل أنه صار سببًا لعدم وصول الثمار لكمالها اللائق ، وكذلك القتل وهو شر فشريته ليست بسبب قدرة القاتل على القتل أو حدة آلة القتل أو قابلية العضو المقتول للقطع وإنما بسبب زوال الحياة وذاك الزوال أمر عدمى ... إلى غير ذلك من الأمثلة

(رباعى)

حيثما سار الوجود أيها القلب

فأيقن أنه خير محض

وكل شر من العدم والعدم غير الوجود إذن فالشر أيها القلب

كل مايقتضيه غير الوجود

(لائحة) : يقول الشيخ صدر الدين القونوى - قدس الله تعالى سره - فى كتاب (النصوص) إن العلم تابع للوجود بمعنى أن كل حقيقة من الحقائق لها وجود وهى علم ، وتفاوت العلم بحسب تفاوت الحقائق فى قبول الوجود كمالاً ونقصًا ، إذن فما يقبل الوجود على الوجه الأتم والأكمل يقبل العلم على هذا الوجه ، وما يقبل الوجود على الوجه الأنقص يتصف بالعلم على هذا الوجه ، ومنشأ هذا التفاوت غالبية ومغلوبية أحكام الوجوب والإمكان ، وفى كل حقيقة تغلب أحكام الوجوب يكمل فيها الوجود والعلم ، وأى حقيقة تغلب فيها أحكام الإمكان ينقص فيها الوجود والعلم وغالبًا أن خصوصية الحكم بتابعية العلم للوجود كما ورد فى كلام الشيخ على سبيل التمثيل وإلا فجميع الكمالات، التابعة للوجود كالحياة والقدرة والإرادة ، وغيرها - لها نفس الحال ، وقال بعضهم - قدس الله تعالى أسرارهم أيضًا - لا يخلو أى فرد قط من الموجودات من العلم لكن العلم على وجهين : أولهما ما يسمى بحسب العرف علمًا ، والآخر ما لا يسمى بحسب العرف علمًا، وكلا القسمين عند أرباب الحقيقة من مقولة العلم لأنهم يشاهدون سريان العلم الذاتى للحق سبحانه فى جميع الموجودات ، ومن قبيل القسم الثانى (الماء) مثلاً الذى لا يسمى عالمًا بحسب العرف ولكنا نراه يميز بين المرتفع والمنخفض ؛ فيعدل عن المرتفع ويجرى فى المنخفض كما ينفذ داخل الجسم المتخلخل ويرطب ظاهر الجسم المتكاثف ويتركه إلى غير ذلك ، إذن فمن خاصية العلم جريانه على مقتضى قابلية القابل وعدم مخالفتها لكن العلم ظهر فى هذه المرتبة فى صورة الطبيعة وعلى هذا

القياس سراية العلم فى سائر الموجودات بل سراية جميع الكمالات التابعة للوجود فى الموجودات بأسرها.

(رباعى)

الوجود بالصفات الخافية فيه يسرى فى كافة أعيان العالم

وكل وصف للعين القابل لها صار عيانًا على قدر قبول العين له

(لائحة) : وكما أن حقيقة الوجود بسبب صرافتها وإطلاقها سارية فى ذوات جميع الموجودات بحيث تكون عين تلك الذوات فى تلك الذوات ، كما أن تلك الذوات كانت فيها عينها كذلك صفاتها الكاملة تسرى بكليتها وإطلاقها فى جميع صفات الموجودات بنحو أن تكون ضمن صفاتها عين صفاتها ، وكما تكون صفاتها فى عينها صفات كاملة تكون عين تلك الصفات كاملة : فمثلاً صفة العلم فى ضمن علم العالم بالجزئيات هى عين العلم بالجزئيات ، وفى ضمن علم العالم بالكليات هى عين العلم بالكليات ، وفى ضمن العلم الفعلى والانفعالى هى عين العلم الفعلى والانفعالى ، وفى ضمن العلم الذوقى والوجدانى هو عين العلم الذوقى والوجدانى إلى غاية علم الموجودات التى لا تعد - بحسب العرف - عالمة هى عين العلم اللائقة بحالها وعلى هذا القياس سائر الصفات والكمالات.

(رباعى)

يا من ذاتك سارية فى ذوات الأعيان وأوصافك متوارية فى صفاتهم

وصفك كذاتك مطلق لكنه ليس فى ضمن المظاهر خاليًا من التقيد

(لائحة) : حقيقة الوجود هى ذات حضرة الحق سبحانه وتعالى ، وشئونها ونسبها واعتبارها هى صفاته ، وإظهاره لنفسه متلبساً بهذه النسب والاعتبارات هو فعله وتأثيره والتعينات الظاهرة المترتبة على هذا الإظهار هى آثاره.

(رباعى)

ذاك المستور أجلى نفسه بالشئون الذاتية فى المظاهر الدينية والدنيوية

فانظر يا طالب اليقين من هذه النقطة التى ذكرتها ما هى الذات والصفة والفعل والأثر

(لائحة) : كلام الشيخ رضى الله عنه فى بعض مواضع من النصوص مشعربأن وجود أعيان الممكنات والكمالات التابعة للوجود مضاف إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى ، وفى بعض المواضع الأخرى يشعر بأن ما يضاف إلى حضرة الحق سبحانه هو إفاضته الوجود وحسب ، وتوابع الوجود من مقتضيات الأعيان والتوفيق بين هذين القولين هو أن لحضرة الحق سبحانه تجليين : (أولهما) التجلى الغيبى الذى يسميه الصوفية بالفيض الأقدس وهو ظهور الحق سبحانه أزلاً فى حضرة العلم على نفسه الصور الأعيان والقابليات والاستعدادات لها ، و (الثانى) التجلى الشهادى للوجود الذى يسمى بالفيض المقدس وهو ظهور " وجود الحق سبحانه المنصبغ بأحكام الأعيان وآثارها " ، وهذا التجلى الثانى مترتب على التجلى الأول ومظهر للكمالات التى كانت قد اندرجت بالتجلى الأول فى قابليات الأعيان واستعداداتها.

(رباعى)

جـود منك ارتـسم بمائة نوع من الشــحـاذين

وأعطى كل منهم جـوداً نصـيـبًا مـسـتقـلاً به

كــان ذاك الجـــود الأول من الأزل وعلـيــه

تـرتب هـذا الجـــــود الـثـــــــانى أبـداً

إذن فإضافة الوجود والكمالات التابعة للوجود إلى الحق سبحانه وتعالى باعتبار مجموع التجليين ، وإضافة الوجود إلى الحق وإضافة توابعه إلى الأعيان باعتبار التجلى الثانى لأنه لايترتب على التجلى الثانى غير إفاضة الوجود على الأعيان وإظهار ما كان قد اندرج فيها بمقتضى التجلى الأول .

(رباعى)

اســتـمع إلـى قـول مــشكل وسـر مـغلق

إن كل فـعل وصـفـة لحـقـا بالأعـيـان

أضـيــفـا إلينا جـمـيـعًـا من جـهــة

وأضـيــفـا إلى الحـق من جـهــة أخــرى

(تذييل) لما كـان المقـصـود من هذه العـبـارات والمطلوب من هذه الإشارات التنبيه على الإحاطة الذاتية لحضرة الحق سبحانه وتعالى وسريان نوره فى جميع مراتب الوجود حتى لا يذهل السالكون العالمون

والطلاب المتنبهون لشهود أى ذات عن مشاهدة جمال ذات الله ، ولا يغفلوا بظهور أى صفة عن مطالعة كمال صفاته ما ذكرناه فى أداء هذا المقصود كافٍ وبيان هذا المطلوب وافٍ فلا جرم أن نقتصر على هذا القدر ونختصر بهذه الرباعيات التالية :

(رباعى)

إلى متى يا جامى تطريز الكلام وتدبيج المقال وسحر البيان وإبداع القول ؟

إن إظهار الحقائق بالكلام ضرب خيال أيها الساذج فإلى متى هذا التلاعب بالخيال؟

(رباعى)

أفضل أن تخفى عيبك فى أسمال الفقر وأحسن أن تحدّ فهمك فى مسائل العشق

وبما أن وجه المقصود مستور بنقاب الكلام فالأولى بنا الصمت عن الكلام والاستماع

(رباعى)

إلى متى تصرخ كالجرس

اصمت لحظة عن هذا الجرس ذى الهراء

لن تصير كنزاً لدرر الحقائق طالما لم تكن كلك اذانًا كالصدف

(رباعى)

يا من تطبعت على وسواس الكلام

راع دائمًا مقتضيات الكلام إن كنت عاقلاً

لا تنبس ببنت شفة عن أسرار الوجود

لأن هذا الدر لا ينتظم بألماس الكلام

(رباعى)

الأفضل أن تخط على كل عيب بخط الإزالة وأن تسدل الحجاب على جمال الغيب

وبما أن تجلى ذاك الجمال لا يخرج عنك فاسحب قدمك تحت ذيلك ورأسك فى جيبك

- تم -

شرح الرباعيات

حمداً لإله هو بالحمد حقيق

في بحر نواله جميع الذرات غريق

ما وفق إلى حمد فضله رفيق

ولم يسلك طريق شكره أى فريق

تعالى الله وتفرد بعزّة وحدته التى لم يتسرب إليها كثرة ثنوية الصفة والموصوف ، ولم يكن لقوة فكر ورويّة لمحجوب أو مكشوف أدنى حيلة أمام امتناع إدراك هويته ، وحبذا هذا العظيم الحكيم الذى مفهوم كلمة (أوتيت جوامع الكلم) فى بيان كمال جامعيته كلام جامع ، وفحوى الآية الكريمة (وعلمك ما لم تكن تعلم) على رفعة علمه ومعرفته برهان ساطع ٠

(رباعى)

الملك العربى قبلة أرباب النجاة

مرآة الذات ومجلى الصفات

باتباع سيرته علو الدرجات

لا زال عليه زاكيات الصلوات

وعلى آله وأصحابه طيبات التحيات وصالحات الدعوات وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد ، يتبين أنه قبل إنشاء هذه الرسالة المشتهرة وإفشاء هذه الصحيفة المعتبرة كانت رباعيات عدة قد نظمتها في إثبات وحدة الوجود وبيان تنزلاتها إلى مراتب الشهود مع التنبيه على كيفية إدراكها على سبيل الكشف والعرفان والوصول إليها بطريق الذوق والوجدان ، ولقيت صورة الانتظام ، ولكن بما أن ميدان العبارة كان ضيقًا على ترجمان اللغة بسبب رعاية القافية ، وكانت قدم سالك البيان بعلة المحافظة على الوزن عرجاء فلم تكن مخدرات معانيها تظهر جمالها بغير نقاب إجمال ، ولم تكن مستورات حقائقها تبدى وجهها بغير حجاب إشكال فلا جرم أن أرقم وأسطر فى ذيل تلك الرباعيات كلمات يسيرة منثورة من كلام كبراء الدين وعرفاء أهل اليقين من أجل تفصيل المجملات وتوضيح المشكلات ، والأمل معقود على مكارم أخلاق المطالعين المنصفين ، وأنا الضعيف بعجزى معترف وبقصورى متصف إذا اطلعوا على مواضع الخلل ومواقع الزلل أن يسعوا فى إصلاحها ويعفوا عليها بذيل العفو والإغماض ، ويجتنبوا صورة العذل وسيرة اللوم ، وأن يصرفوا كل ما فيها إلى مصرف لائق ، ويحملوا معانيها بمحمل شائق والله ولى التوفيق ومنه الهداية إلى سواء الطريق.

(فمن تلك الرباعيات)

الواجب وهو واهب الوجود للمحدث والقديم وتصوير هبته الوجود قوله (كن).

أقـول حديثًـا لطيفًـا هو لب الكلام إنه الوجـود ، يستـوى أن يكون الوجود أو خالق الوجود

(وأيضًا منها)

كل مـــــخلوق عــــاجــز لا يـصل إلـيك

حـرِىٌّ به أن يتـخلص من نفـسـه ويرتبط بك

أنت موجود بذاتك في الوجـود الذى ليس إلا ذاتك لكن الوجود موجود بك وأنت باق بذاتك

فى هاتين الرباعيتين إشارة إلى اتحاد وجود الواجب تعالى وتقدس بحقيقته كما هو مذهب الحكماء والصوفية الموحدين ، وشرح ذلك أن الموجودات يمكن تقسيمها بالتقسيم العقلى إلى ثلاث مراتب هى : (الأولى) الموجود الذى يغاير وجوده ذاته ووجوده مستفاد من غيره مثل الممكنات الموجودة ، و (الثانية) الموجود الذى تغاير حقيقته وجوده وتقتضيه على نحو أن يكون انفكاك الوجود عنه محالاً مع أن تصور الانفكاك ممكن بناء على التغاير بين الذات والوجود مثل واجب الوجود على مذهب المتكلمين ، و (الثالثة) الموجود الذى وجوده هو عين ذاته أى الموجود بذاته لا بأمر مغاير لذاته ، ولا شك من أن مثل هذا الموجود هو الواجب ؛ لأنه حين لا يمكن تصور انفكاك شىء من نفسه فكيف يمكن وقوعه بحسب الخارج ؟ وجلى أن أكمل مراتب الوجود المرتبة الثالثة ، والنظرة السليمة تجزم بأن الواجب تعالى وتقدس ينبغى أن يكون على أكمل مراتب الوجود إذن فذاته هى عين وجوده .

(تنبيـه) : ومن هنا يعلم أنه إذا أطلق لفظ الوجـود على الواجب تعالى فالمراد به الذات الموجودة بنفسها والموجدة لغيرها وليس الكون والحصول والتحقق ، وهي معان مصدرية ومفهومات اعتبارية ليس لها تحقق ووجود إلا في الذهن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(وأيضًا منها)

الوجـود الظاهر بذاته مثل النور

ظهرت منه ذرات المكونات

وكل شيء يبعد عن ضيائه

يظل مستوراً في ظلمة العدم

(وأيضًا منها)

شمس الفلك منيرة بنورها

وجرم القمر من شعاعها ينير

والنور منير بذاته وذو العقل الخبير لو يعليه على الشمس والقمر فلا تنتقده

في هاتين الرباعيتين إشارة إلى تمثيل مُثِّلَ به لشرح مراتب الموجودات في الوجود ، وقيل : إن الأشياء النورانية على ثلاث مراتب في النورانية : (الأولى) التي يستفاد نورها من غيرها مثل جرم القمر في مقابلة الشمس ينير بشعاعها ، وفي هذه المرتبة ثلاثة أشياء : الأول

جرم القمر ، والثانى الشعاع الذى يسقط عليه ، والثالث الشمس التى تفيد الشعاع ، (والمرتبة الثانية) ما يقتضى نوره ذاته كالشمس بفرض أن ذاتها تستلزم نورها وتقتضيه ، وفى هذه المرتبة شيئان : جرم الشمس ، ونورها ، و (المرتبة الثالثة) ما ينير بذاته ويظهر لا بنور يزيد على ذاته كالنور لأنه لا يخفى على أى عاقل أن نور الشمس ليس مظلماً بل منير وظاهر بذاته لا بنور آخر يقوم بذاته ، وفى هذه المرتبة شىء واحد هو النور الظاهر بذاته إلى أبصار الناس وتظهر الأشياء الأخرى بواسطته بحيث يكون لها قابلية الظهور ، ولا يعلو هذه المرتبة الثالثة مرتبة أخرى فى النورانية ، وإذا تصورنا هذه المراتب الثلاث فى المحسوسات اتضحت المراتب الثلاث للموجودات التى ذكرناها قبل هذا وتبين أكملية المرتبة الثالثة والله تعالى أعلم.

(وأيضًا منها)

كل شىء خلاف الوجود يحتاج الوجود فى وجوده كما يظهر فى عين الشهود

ويحتاج بما أنه ليس من الواجب وصفه بالوجوب إلى الوجود الخاص وهو المقصود

هذا الرباعى إشارة إلى دليل إثبات اتحاد الوجود الواجب بحقيقته، وشرح ذلك أن كل شىء يغاير الوجود لا يكون عين مفهوم الوجود ولا فرده كالإنسان - مثلاً - ما دام لم ينضم إليه الوجود فلا يتصف بالوجود فى نفس الأمر ، إذن كل شىء يغاير الوجود فى الموجودية

يحتاج فى نفس الأمر إلى غيره وهو الوجود ، وكل ما يحتاج فى الموجودية إلى غيره هو (الممكن) لأن الممكن هو ما يحتاج فى وجوده إلى غير ، إذن كل شيء يغاير الوجود لايمكن أن يكون هو (الواجب) ، وقد ثبت بالبراهين العقلية أن الواجب هو الموجود ؛ إذن فلا يمكن أن يكون الواجب غير الوجود

(سؤال) لو قال أحد إن الممكن هو ما يحتاج فى موجوديته إلى غير هو موجده لا موجوده (فالجواب) كل شيء يحتاج إلى غيره فى موجوديته يستفيد وجوده من غيره هو الممكن سواء سمي ذاك الغير بالوجود أو بالموجد .

(وأيضًا منها)

الوجود الذى هو حقيقة الحق هو الحق
وليس المضاف والملحق بالحق
وجماعة تقيده بالتعين
وأخرى تطلقه من قيد التعين

القائلون باتحاد الوجود الواجب تعالى بحقيقته فرقتان : (الفرقة الأولى) أرباب الفكر والنظر كالحكماء ؛ ويقولون إنه لا يجب أن يكون واجب الوجود كُليًا أى لا يجدر أن تكون له الكلية والعموم العارض ؛ لأن الوجود الكلى لا يحدث في الخارج بدون تعيين ؛ إذن فيلزم أن يكون بهذا واجب الوجود مركبًا من هذا الأمر الكلى . والتعين والتركيب للواجب محال كما هو مشهور ، بل يجب أن يكون الواجب فى حد ذاته

متعيناً أى يكون تعينه عين ذاته ، كما أن وجوده عين ذاته ، حتى لايجوز عليه بأى حال التركيب والتعدد وحينئذ تكون موجودية الأشياء عبارة عن أن يكون لها تعلق خاص ونسبة معينة بحضرة الوجود ويسقط من تلك الحضرة عليها شعاع وليس الوجود عارضًا عليها أو حاصلاً فيها ، وعلى هذا التقدير فالموجود مفهوم كلى محمول على أمور متكثرة ، والوجود الجزئى الحقيقى ممتنع الاشتراك بين الكثيرين .

(سؤال) لو قال أحد يتبادر إلى الذهن من لفظ الوجود مفهوم مشترك بين الأشياء الكثيرة إذن فكيف يكون الجزئى حقيقيًا ؟ (أجبنا) بأن الكلام هو فى حقيقة الوجود لا فيما يتبادر من لفظ الوجود ؛ إذن فيجب أن تكون حقيقة الوجود الجزئى حقيقية والمفهوم الكلى المتبادر إلى الذهن من لفظ الوجود هو العرضى العام بالنسبة إلى تلك الحقيقة بما أن المفهوم واجب القياس بحقيقته .

(الفرقة الثانية) : هم الصوفية القائلون بوحدة الوجود إذ يقولون إن وراء طور العقل طوراً ينكشف فيه بطريق المكاشفة والمشاهدة أشياء عدة يعجز العقل عن إدراكها كعجز الحواس عن إدراك المعقولات التى هى مدركات العقل ، وتحقق فى هذا الطور أن حقيقة الوجود هى عين واجب الوجود ليست كلية ولا جزئية ولا خاصة ولا عامة بل مطلقة من كل القيود إلى حد أنها مطلقة أيضًا من قيد الإطلاق على ذاك القياس الذى ذكره أرباب العلوم العقلية فى الكلى الطبيعى ، وهى الحقيقة التى تجلت وظهرت فى كافة الأشياء الموصوفة بالوجود بمعنى أن لا شىء

البتة يخلو من هذه الحقيقة ؛ لأنه إذا خلا الشيء تماماً من حقيقة الوجود ما اتصف أصلاً بالوجود .

(وأيضًا منها)

الوجود الذى هو مبرأ من الحدوث والقدم

ليس كليًا ولا جزئيًا ولا كثيراً ولا قليلاً

لأن التعين سواء كان الأخص أو الأعم

مسبوق بلا التعين فأفهم

حقيقة الوجود من حيث الإطلاق لا يشار إليها ولا يحكم عليها بأى حكم ولا تعرف بأى صفة ولا يضاف إليها أى نسبة من النسب مثل : الحدوث والقدم ، والوحدة والكثرة ، والوجوب والوجود ، والمبدأية بتعلق علمها بذاتها أو بغيرها ؛ لأن كل هذا يقتضى التعين والتقيُّد ، وليس من شك من أن التعين والتقيُّد سواء أخص التعينات مطلقًا مثل التعينات الشخصية الجزئية أو أعم كل التعينات وأوسعها مطلقًا كالتعين الأول أو سواءً الأخص والأعم من وجه مثل التعينات المتوسطة بينهما مسبوقة جميعًا بلا التعين ، إذن ليس واحد من هذه التعينات يلزم حضرة الوجود من حيث هو بل لزومها بحسب المراتب والمقامات المشار إليها بقوله (رفيع الدرجات ذو العرش) ، إذن فيصير مطلقًا ومقيداً وكليًا وجزئيًا وعامًا وخاصًا وواحداً وكثيراً بدون حصول تغير وتبدل فى ذاته وحقيقته حينما تُلاَحَظُ باعتبار الإطلاق والفعل والتأثير والوحدة وعلو مرتبة الألوهية فهى حقيقة الله سبحانه وتعالى وله الوجوب الذاتى والقدم

وغيرهما من صفات الكمال، وحينما تَلاحَظُ من ناحية التقيُّد والانفعال والتأثر والكثرة والانسفال وقابليته الوجود من حقيقة الواجب بالفيض والتجلى فهى إذن حقيقة العالم وله الإمكان الذاتى والحدوث وغيرهما من الصفات ، وهذا باعتبار التنزل إلى عالم المعانى وتجليه بالصور العلمية المعبر عنها بالأعيان الثابتة ، وبما أن هاتين الحقيقتين المفترقتين لابد لهما من أصل تكونان فيه واحداً وهو فيهما متعدد لأن الواحد هو أصل العدد والعدد تفصيل الواحد فلا مناص من حقيقة ثالثة تجمع بين الإطلاق والتقييد والفعل والانفعال والتأثير والتأثر وتكون مطلقة من وجه ومقيدة من وجه آخر ، وفعالة باعتبار ومنفعلة باعتبار آخر ، وهذه هى حقيقة الأحدية الجامعة للحقيقتين المذكورتين ولها مرتبة الأولية الكبرى والآخرية العظمى .

(وأيضًا منها)

الواجب الذى عمى العقل عن كنهه

أجلى من الجميع فى نسبه الوجود

ماهيته أخفى من أن تظهر

أنيته أظهر من أن تخفى

إن الحق سبحانه من ناحية الحقيقة والذات أخفى من كل شىء ، ولا يمكن لأحد ما أن يدرك ويفهم ويشهد ويعلم كنه ذاته وغيب هويته كما أخبر هو عن نفسه (ولا يحيطون به علمًا) ، تعالت درجة رفعة إدراكه عن مناولة الحواس ومحاولة القياس وخلت ساحة عزة معرفته من

تردد الأفهام وتعرض الأوهام ، ليس دليل لنهايات العقول فى بدايات معرفته غير التحير والتلاشى ، وليس سبيل لبصيرة أصحاب النظر فى أشعة أنوار عظمته غير التعامى والتعاشى ، وفى الجملة كل ما يسعه العقل والفهم والوهم والحواس والقياس ؛ فذات الله سبحانه منزهه ومقدسه عنه لأن كل هذه محدثات ولا يستطيع المحدث إدراك غير المحدث ، لكنه من ناحية التحقق والوجود فهو أوضح من كل شىء ، وإنما خفاؤه وصعوبة معرفته - سبحانه - بسبب غاية وضوحه من كثرة ظهوره ولا تطيق القلوب إدراكه . الخفاش لا يرى بالنهار لا لأن الأشياء تظهر أكثر بالليل لكنها هى أكثر ظهوراً بالنهار وعينه ضعيفة. وكل ما فى الوجود له صفة واحدة على الدوام فى الشهادة على كمال وجوده وعلمه وقدرته وجلاله وعظمته جل ذكره من صانع . لو أمكن غيبه الخالق سبحانه وعدمه لزالت السموات والأرض ، وإذ ذاك عرف بالضرورة وكل من قوى بصره رأى كل شىء يراه صنع الله ، وعليه يرى الله تعالى فى كل شىء يراه ، وإذا أردت النظر فى شىء ليس منه وليس إليه وبه فلن تستطيع أن تجده فكل شىء قبة وشعاع من جمال حضرته وكل شىء منه وكل شىء إليه وبه ، بل إن كل شىء هو وليس لأى شىء قط وجود إلا هو فى الحقيقة ، بل إن جميع الموجودات ذات شعاع من نور وجوده. وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - الحق سبحانه أظهر من كل المخلوقات والموجودات ، وهو مُخْتَفٍ لغاية ظهوره (خفى لشدة ظهوره). الحق سبحانه أظهر من الشمس فمن طلب البيان بعد العيان فهو فى الخسران ، تقول لا أعرف هذا الرجل وبعد الاختلاط به ومشاهدة أفعاله

وأقواله وأخلاقه وفضائله تقول أعرفه حق المعرفة ، والحق سبحانه وجملة المخلوقات أفعاله وأقواله وآثاره متى يكون خافيًا ؟ لماذا لاتقول لنفسك إن الحق سبحانه ذات وكل ما أرى وسوف أراه صنع هذه الذات ، إذن فشاهد على الدوام الله سبحانه بأوضح من كل شىء ، ولا تقل لاأراه لأنك إذا رأيت وفهمت غير ذاك كنت كمن يقول فى الروض أرى الأوراق ولا أرى الروض ، ولا يوجب هذا القول ضحكًا .

(نظم)

أفهم هذا وهو أن ترى اللَّه فى كل لحظة فى كل وجه

انظر فى كل صباح فى الفالق لأن الخلق مظهر الخالق

لا تر غير اللَّه فى السموات والأرض وكل ما فيها وافهم هذا جيدًا

(وأيضًا منها)

إن الله الذى فتح عليك ألف باب

لم يهدك إلى طريق كمال كنهه

وحذرك من التفكير فى ذاته

حتى لا تعانى المشقة بلا جدوى

(وأيضًا منها)

النور الذى يملأ العالم

يشهده القلب والبصر فى كل حال

وتحـــصــيل شــــهــود مـــا كـــان

مــشــهـوداً مــحــال فى قــاعــدة العــقل

(وأيضًا منها)

يا مـن بكى قـلبك مـن الهـــجـــر فـى نَوْحِ

إلى مــتى ســتــبكى فى نوح مـــثل نوح ؟

من هو سـبب هم الهجـران فى عين الشـهود افتح بصيـرتك حتى ترى من هو مشهودك

معرفة الحق سبحانه وإدراكه على قسمين : الأول إدراكه باعتبار كنه ذاته وتجرده من تعـيـينات الأسـمـاء والصـفـات وتلبسـه بمظاهر الكائنات ، وهذا ممتنع عن غيـر الحق سـبـحـانه لأنه من هذا الحـيث محتجب بحجاب العزة ومختفٍ برداء الكبرياء ، وليس أدنى نسبة بينه وبين مـا سواه ؛ إذن فالشروع فى طريق مـعرفـته بهذا الوجه إضـاعة بضاعة الوقت وطلب لما لا يمكن الظفر بتحصيله إلا بوجه الإجمال وهو أن يعرف المحقق أن وراء مـا تعين أمراً ظهـر به كل متعين وهو في حد ذاته مبرأ من التعين ؛ ولذلك قال سبحانه (ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) ، إذن فقدِ أرادِ – الحق سبحانه برحمته الكاملة ورأفته الشـاملة – راحـة عبـاده فحذرهم من السـعى فى طلب مـا هو ممتنع الحصول . وأتى فى الحديث أيضاً (تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذات الله) ، ويقـول الشيخ محيى الدين رضى الله عنه(التـفكر فى ذات الله تعالى محال فلم يبق إلا التفكر فى الكون) .

(سـؤال) إذا قلت بما أن التـفكر فى ذات الحـق مـحـال إذن فـالإم يتـجـه النهى ؟ (أجـبنا) بأن النهى يتـجـه إلى الفكر فى الذات والتفكير فيها كما ذكر صاحب المثنوى المعنوى:

إن التفكُّر فى ذاته ليس فى الحقيقة نظراً فى ذاته

وإنما هو تفكير فيه وفى الطريق آلاف الحجب بينك وبين الله

وقـد أشـرنا إلى هذا القـسم من المعـرفـة فى الرباعى الأول ، والقسم الثانى هو إدراكه سبحانه باعتبار تعينات نوره وتنوعات ظهوره فى مراتب التنزلات ومرائى المكونات ، وهذا الإدراك بدوره على حزبين : الأول الإدراك البسيط وهو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجـود الحق سـبـحـانه ، والثانى هو الإدراك المركب وهو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، وفى ظهور الوجود الحق سبحانه بحسب الادراك البسيط لايوجد خفاء لأن كل ما تدركه هو أولاً الوجود المُدْرِك ولو غفلت عن إدراك هذا الإدراك . ظل خفيًا لغاية ظهوره ، كما هو حال إدراك الألوان والأشكال بواسطة إدراك الضـيـاء المحـيط بهـا وهو شـرط الرؤية ، ومع هذا يغـفل الناظر إدراك الضياء فى إدراك الألوان والأشكال وبغيبة الضياء يكون معلومًا أن وراءها أمراً آخر كان مدركًا وهو الضـيـاء كذلك نور الوجود الحق المحيط بالضـيـاء والألوان والأشكال والرائى لها وبجمـيـع الموجـودات الذهنية والخارجية ، هو القيوم لها جميعا وأدراك شئ بدون إدراكه

محال ، فمع أنك غفلت عن إدراكه سبحانه ومنشأ هذه الغفلة دوام ظهوره وإدراكه بحيث إذا غاب أيضًا هذا النور مثل الضياء يظهر أن أمرًا آخر موجود في وقت إدراك الموجودات وهو نور الوجود الحق سبحانه كان مدركًا أيضًا لأن :

(مثنوى)

ظهور جملة الأشياء بضدها لكن ليس الحق للحق ضد ولا ند

وبما أن ليس لذات الحق نقل وتحويل فلا يجرى عليها تغيير وتبديل

ولو كانت الشمس على حال واحدة لكان شعاعها على منوال واحد

وما عرف أحد أن هذا شعاعها وما كان فرق بين اللباب والقشر

والنظر فى هذا الإدراك بسيط لذا قيل :

التفكير فى ذات الحق باطل

واعتبر تحصيل حاصله محالاً محضًا

وأشرنا إلى هذا الإدراك فى الرباعى الثانى ، وأما الإدراك الثانى وهو الإدراك المركب فهو محل الفكر والخفاء والصواب والخطأ وحكم الإيمان والكفر راجع إليه والتفاضل بين أرباب المعرفة بتفاوت مراتبه ويشير إليه قول الصديق الأكبر رضى الله عنه (العجز عن درك الإدراك إدراك)

(مثنوى)

أى نسبة للتراب بالعالم الطاهر

إن العجز عن درك الإدراك إدراك

وأشرنا إلى هذا الإدراك الثانى فى الرباعى الثالث (اللهم وفقنا لهذا الإدراك واشغلنا بك عمن سواك)

(وأيضًا منها)

لا يصل الفكر إلى الأسرار الإلهية

ولا يصل إلى الذات والصفات للحق كما هى

والعلم الذى هو تناهى صفته الذاتية لا يصل إلى الذات البريئة من التناهى

فى هذا الرباعى إشارة إلى وجه امتناع تعلق العلم بكنه ذات الحق سبحانه وتعالى ، وتقرير ذلك أن غيبة هوية الذات التى هى مطلقة بالإطلاق الحقيقى تقتضى ألا تضبط وتتميز ، ولا تلج تحت الانحصار والإحاطة ، وحقيقة العلم هى الإحاطة بالمعلوم وكشفه على سبيل التمييز عما عداه ، إذن فإن تعلقت به حقيقة علمية لزم تخلف مقتضى الذات عنه أو انقلاب أو تبدل حقيقة العلم وكلاهما محال ، إذن فحقيقة العلم لا يمكنها أن تحيط بذات الخق سبحانه من حيث الإطلاق المذكور ونسبة ما يتعين للعارفين من ذات الحق سبحانه وتعالى بما لم يتعين هى نسبة المتناهى إلى غير المتناهى ونسبة المقيد إلى المطلق،

وكما أن إحاطة العلم بذات الحق سبحانه من حيث الإطلاق المذكور متعذرة كذلك تتعذر من حيث عدم تناهى الأمور المندرجة والمندمجة فى غيبة هويته ، ولا يمكن تعينها وظهورها دفعة واحدة بل بالتدريج.

(وأيضًا منها)

لا يمكن بالعقل والعلم

إدراك بطون الحق ووحدته

والأفضل أن ترى تفصيل تنوعات ظهوره من مرآة المراتب

إدراك ذات الحق - سبحانه وتعالى - باعتبار البطون والتجرد من مجالات تعيينات الشئون مع أنه ممتنع لكنه باعتبار ظهورها فى المراتب ممكن بل واقع ، ويتبع هذا الظهور الأحكام والتفاصيل والأحوال والآثار التى تتعلق معرفتها التفصيلية به ، ويقوم بحث الطلاب والمبتدئين على حصولها ، وينبىء مقالات الواصلين والمنتهين عن الوصول إليها ، وبعض من مراتب الظهور جزئيات وليس لها غاية ونهاية ، وبعضها كليات ، ومن هذه الكليات بعض كالمَحَال لظهور سائر الحقائق الكلية والجزئيات ولوازمها بحيث تكون كل حقيقة لعديد من الكليات أو الجزئيات أو المتبوعات أو التوابع متعلقا بأحد تلك المحال ، بحيث لو قدر ظهورها تكون تحت حكم ذلك المحل ويكون ظهورها بحسبها وتسمى المراتب والعوالم والحضرات ، وليس للمراتب من حيث هى مراتب وجود متميز عن وجود الأمور المتعينة المترتبة فيها ، بل إن وجودها هو عين وجود الأمور المتعينة المترتبة مثل مرتبة الحسّ والشهادة فهى مثلاً مرتبة

كلية تشمل جميع المحسوسات الجزئية المتعينة من الأفلاك والأنجم والعناصر والمواليد ، ووجود تلك المرتبة الكلية بعينها متعينة بوجود نفس هذه الجزئيات وليس واحد من الكلي والجزئيات له وجود مستقل متميز عن غيره فتَدَبر .

(وأيضًا منها)

حين يتنزل الواجب من حضرة الذات فلتنزلاته خمس درجات

هي الغيب والشهادة بالوسط والروح والمثال والخامس جمعية تلك الحضرات

المراتب الكلية تنحصر في خمس مراتب وتسمى الحضرات (الأولى) : تسمى حضرة أو مرتبة الغيب والمعاني ؛ وهي حضرة الذات بالتجلي والتعين الأول والثاني وما اشتملا عليه من الشئون والاعتبارات أولاً والحقائق الإلهية والكونية ثانيًا ، و (الثانية) : المقابلة للأولى تسمى الشهادة والحس ؛ وهي من حضرة عرش الرحمانية حتى العالم الأرضي وما بينهما من صور أجناس العالم وأنواعه وأشخاصه ، و(الثالثة) : التي تتلو مرتبة الغيب تنازلاً تسمى مرتبة الأرواح ، و(الرابعة) : التي تتلو عالم الحس تصاعداً هي التي تسمى عالم المثال والخيال المنفصل ، و (الخامسة) : التي تجمع ما سبقها تفصيلاً هي حقيقة العالم وإجمالاً هي الصورة العنصرية الإنسانية ، وقال بعضهم قدس الله أسرارهم : المراتب الكلية ست ، ولأن المراتب مجالٍ ومظاهر إذن فلا تخلو مما هو ظاهر ، ويظهر فيها على الحق سبحانه وحده وليس على الأشياء الكونية

أو ما يظهر أيضا على الحق وعلى الأشياء الكونية ويسمى القسم بمرتبة الغيب بسبب غياب الأشياء الكونية فيه عن نفسها وعن غيرها . إذن ليس لأى شىء ظهور إلا على الحق سبحانه وتعالى . وهذا القسم ينقسم إلى مرتبتين لأن عدم ظهور شىء على الأشياء الكونية ويسمى القسم الأول بمرتبة الغيب بسبب غياب الأشياء الكونية فيه عن نفسها وعن غيرها . إذن ليس لأى شىء ظهور إلى على الحق سبحانه وتعالى .

وهذا القسم ينقسم إلي مرتبتين لأن عدم ظهور شىء على الأشياء الكونية يكون إما بسبب انتفاء أعيانها بالكلية علمًا وعينا حيث كان الله ولم يكن معه شىء وتسمى هذه المرتبة بالتعين الأول ، والمرتبة الأولى للغيب ، وإما بسبب انتفاء صفة الظهور على أعيانها مع أنها أى الأشياء متحققة وثابتة ومتميزة فى العلم الأزلى وظاهرة على الحق سبحانه وتعالى وليس على نفسها ، وأمثالها كما هو الأمر فى الصور الثابتة فى أذهاننا ، وتسمى هذه المرتبة بالتعين الثانى وعالم المعانى والمرتبة الثانية للغيب . أما القسم الثانى من المراتب التى ما يظهر فيها يظهر على الحق كما يظهر على الأشياء الكونية فينقسم إلى ثلاث مراتب :

(المرتبة الأولى) : هى مرتبة الأرواح ؛ وهى مرتبة ظهور الحقائق الكونية المحددة البسيطة لنفسها ولمثلها كالأرواح التى تدرك فى هذه المرتبة أعيانها وأمثالها .

(المرتبة الثانية) : مرتبة عالم المثال ؛ وهى مرتبة الوجود للأشياء الكونية المركبة اللطيفة التى لا تقبل التجزئة والتبعيض والحرق والالتئام .

(المرتبة الثالثة) : هى عالم الأجسام ، وهى مرتبة وجود الأشياء المركبة الكثيفة التى تقبل التجزئة والتبعيض وسميت هذه المرتبة بمرتبة الحسّ وعالم الشهادة ، إذن فمجموع هذه المراتب خمس ، والمرتبة السادسة هى المرتبة الجامعة لجميع المراتب وهى حقيقة الإنسان الكامل لأنه جامع للجميع بحكم البرزخية التى له والله أعلم بالحقائق .

(وأيضًا منها)

فى المرتبة الأولى لا تنفصل صفات الجبروت عن الذات والملك عن الملكوت

ولا تظهر أعيان الوجود فى عين الظهور بل فى علم الثبوت

فى المرتبة الأولى وهى التعين الأول لا يتميز الملك عن الملكوت وهو مرتبة الأرواح ، ولا الملكوت عن الجبروت وهو مرتبة الصفات ، ولا الجبروت عن اللاهوت وهو مرتبة الذات بل هى وحدة صرف وقابلية محض ، وتندرج هذه المراتب فيها وتندمج من غير امتياز بعضها عن بعض لا علمًا ولا غيبًا ، وخصوصيات هذه الاعتبارات ليس لها تميز لإحداها عن الأخرى باعتبار الاندراج والاندماج فى هذه المرتبة ، وإذا كان هذا الامتياز بحسب العلم وحسب تسمى أيضًا بالشؤنات الذاتية والحروف العاليات والحروف العلوية والحروف الأصلية ، وبعد امتيازها بعضها عن الآخر فى المرتبة الثانية بسبب نورانية العلم فهى صور الشئون المذكورة وتسمى بالأعيان الثابتة والماهيات.

(وأيضًا منها)

فى عــــــــــالــم المعنى لاتــعى ..

الأشــيـــاء بذاتهــا أصـــلاً ولا بغـيـــرها

هى من ناحيـة الوجود جـميعًا متحِـدة ..

قــد فـصلهــا عن بعــضـهــا نوانيـة العلم

فى المرتبة الثانية أى التعين الثانى - كما تسمى - لا يكون للأشياء الكونية فى عالم المعانى أصلاً شعور بذاتها وذوات أمثالها باعتبار التحقق والتميز لجميع المعانى الكلية والجزئية فيها ، بل إن تحققها وثبوتها فى هذه المرتبة لا يقتضى إضافة الوجود إليها بحيث تتصف بالموجودية أو يتعدد ويتكثر الوجود بسبب إضافته ونسبته إليها ، ولأنها لا تتصف بالوجود فيلزم بطريق أولى ألا تتصف بالكمالات التابعة للوجود مثل شعورها بذاتها وأمثالها إذن فهى لا تتعدد وتتميز فى هذه المرتبة بالتعدد والتميز الوجودى ، بل إن تعددها وتميزها باعتبار العلم وحسب بخلاف المرتبة الأولى ؛ حيث لا يلحظ أيضاً هذا التميز والتعدد العلمى ومثال هذا بعينه مثال الحبة التى هى أصل الشجرة لو فرضنا أنها عالمة إذن فتعيُّن الحبة وتجليها على نفسها بلا تفاصيل الخصوصيات للجذر والساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار المندرجة والمندمجة فيها يكون ملحوظًا لها بمثابة التعين الأول الذى لا يكون للأشياء فيه تعدد وجودى ولا تميز علمى ، وتعيُّن وتجلى الحبة على نفسها بصور تفاصيل هذه الخصوصيات التى تتجلى على ذاتها

بصورة الجذر والساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار ، وتشاهد هذا المفصل فى المجمل بمنزلة التعين الثانى الذى يكون فيه للأشياء تميز علمى ، مع أنها ليس لها تعدد وجودى ، وهذه الخصوصيات المذكورة باعتبار الاندراج والاندماج فى المرتبة الأولى بلا تعدد وجودى وتميز علمى هو مجلى الشئونات الذاتية ، وصور معلوميتها فى المرتبة الثانية هى مثال حقائق الموجودات المسماة بالأعيان الثابتة فى عرف الصوفية والماهيات لدى الحكماء كما مر.

(وأيضًا منها)

لا تنزل الأعـيـان إلى حـضـيـض العين

حـاشـا أن تكون مـجـعـولـة بجـعل الجـاعل

وبما أن الجـعـل هو إفـاضـة نـور الوجـود

لا يـعـقـل أن يـوصـف بـالعـدم

يتفق الصوفية الموحدون مع الحكماء المحققين فى نفى المجعولية عن الأعيان الثابتة والماهيات ، وكلام الشيخ المحقق المدقق صدر الحق والدين القونوى وأتباعه - قدس الله أرواحهم - الناظر إلى أن نفى المجعولية عن الأعيان الثابتة إنما ينبنى على أن الجعل يعنون به تأثير المؤثر فى الماهيات باعتبار إفاضة الوجود العينى الخارجى عليها ، وما من شك فى أن الأعيان من حيث هى صور علمية ينتفى عنها الوجود الخارجى ؛ إذن فيلزم انتفاء المجعولية عنها أيضًا ، ولبعض المحققين أرباب النظر تحقيق فى هذه النقطة ومفاده : أن الماهيات الممكنة كما

أنها تحتاج إلى فاعل فى الوجود الخارجى تحتاج أيضًا إلى فاعل فى وجودها العلمى سواء كان هذا الفاعل مختارًا أو موجبًا ، إذن فالمجعولية بمعنى الاحتياج إلى الفاعل من لوازم الماهيات الممكنة مطلقًا سواء في وجودها العينى أو الخارجى أو فى وجودها العلمى ، وإذا فسرت المجعولية بالاحتياج إلى الفاعل فى الوجود الخارجى فالقول بنفى المجعولية عن الأعيان الثابتة صحيح ، لكن لا يخفى أن هذا التخصيص والتقييد تكلف وراجع إلى الاصطلاح ، إذن فالصواب فى هذا المقام هو إن يقال إن المراد بنفى المجعولية عن الماهيات هو عدم احتياجها فى حد أنفسها إلى جعل الجاعل وتأثير المؤثر ؛ لأن ماهية السواد - مثلاً - حين لايلاحظ معها مفهوم آخر وراء مفهوم السواد فإن العقل لا يجوز فيه معنى الجعل والتأثير بسبب أن ليس من مغايرة بين ماهيته ونفسه حتى يجعله الفاعل بالجعل والتأثير هو نفسه ، كما لا يتصور جعل الفاعل وتأثيره فى صفة الوجود ، بمعنى أن يجعل الوجود وجودًا وإنما يتعلق جعله وتأثيره بالماهية باعتبار الوجود ؛ بمعنى أن يجعل الماهية متصفة بالوجود كشأن تأثير الصباغ - مثلاً - فى الثوب المصبوغ : فليس لأنه جعل الثوث ثوبًا أو الصبغ صبغًا وإنما لأنه جعل الثوب يتصف بالصبغ ؛ إذن فعلى هذا التقدير فكل من نفى مجعولية الماهيات فى حد أنفسها وإثبات مجعوليتها باعتبار اتصافها بالوجود هو صحيح كما لا يخفى على الفطن الذكى والله هو الولى.

(وأيضًا منها)

الأعــيــان وهى مــخـــدرات ســر العـــدم

هن مـــســتـورات الحـــرم فى ملك الـبـقــاء

كـلـهـن مـظـاهـر نـور الـوجـــــــــود

مع أنهـن مـقـيـمـات بـظلمـات العــدم

هذا الرباعى إشارة إلى المعنى الذى ذكره صاحب الفصوص – رضى الله عنه فى الفصّ الإدريسى بقوله : (الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود) يعنى الأعيان الثابتة وهى الصور العلمية هى على عدمها الأصلى ، ولم يصل مشامها رائحة من الوجود الخارجى ، ومعنى هذا الكلام هو أن الأعيان الثابتة ثابتة ومستقرة على بطونها عند إفاضة الوجود عليها ولن تظهر بأى وجه لأن البطون والخفاء ذاتى فيها ، وذاتية الشىء لا تنفك عن هذا الشىء ؛ إذن فما يظهر من هذه الأعيان هو أحكامها وآثارها التى تظهر فى الوجود أو فى وجود الحق وليست ذات هذه الأعيان.

(وأيضًا منها)

الأعـيان كلهن مـرآة والحق هو المتجلى فـيـهـا

أو أن نور الحق هو المرآة والأعيـان هى الصور

وفى نـظر المحــقق الحــديـد البـــصـــر

كل واحـد من هذين الاثنين هو مـرآة للآخـر

للأعيان وهى حقائق الموجودات اعتباران : الأول : هو أن الأعيان مرايا وجود الحق وأسماؤه وصفاته ، والثانى : هو أن وجود الحق مرآة هذه الأعيان ، إذن فبالاعتبار الأول لا يظهر فى خارجها إلا الوجود المتعين فى مرايا الأعيان والمتعدد بتعدد أحكامها وآثارها ، وبمقتضى هذا الاعتبار فلا يشهد شيء قط فى الخارج غير وجود الحق ، وهذا بيان حال الموحّد الذى يغلب عليه شهود الحق ، وبالاعتبار الثانى لا يشهد شيء قط فى الوجود غير الأعيان ويغيب وجود الحق وهو مرآة الأعيان ، ولا يتجلى ويظهر إلا وراء حجب الغيب ، وهذا بيان حال من يغلب عليه شهود الخلق ، لكن المحقق يشاهد دائمًا هاتين المرآتين أعنى مرآة الحق ومرآة الأعيان ، ومشاهدة الصور التى فى هاتين المرآتين بلا انفكاك وامتياز.

(وأيضًا منها)

أنت ذو العين إذا شهد نور الحق

وأنت ذو العقل لو فقد شهود الحق

وأنت ذو العين وذو العقل لو تحقق لك معًا شهود الحق والخلق

هذا الرباعى إشارة إلى الألقاب الخاصة بأرباب المراتب الثلاث التى سبقت فى شرح الرباعى السابق ، إذن فذو العين فى اصطلاح هذه الطائفة عبارة عمن يغلب عليه شهود الحق فيرى الحق سبحانه ظاهراً ويرى الخلق باطنًا ، إذن فالخلق فى نظره بمثابة المرآة للحق بسبب ظهور الحق فى الخلق كظهور الصورة فى المرآة، واختفاء الخلق

فى الحق كاختفاء المرآة فى الصورة ، وذو العقل هو من يغلب عليه شهود الخلق فيرى الخلق ظاهراً والحق باطنًا ، إذن الحق فى نظره بمنزلة المرآة للخلق والخلق بمنزلة الصورة المنطبعة فى المرآة فلا جرم أن يكون الحق باطنًا كما هو شأن المرآة للخلق والخلق ظاهر كما هو شأن الصورة المرتسمة فى المرآة ، وذو العين والعقل هو من يشاهد الحق فى الخلق والخلق فى الحق ، ولا ينحجب بشهود أحدهما عن شهود الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه هو الحق من وجه وهو الخلق من وجه آخر، ولا يمنع ظهور الكثرة من شهود الوحدة ولا يحجز شهود الوحدة ظهور الكثرة.

(وأيضًا منها)

الوجود غير المشروط يسمى الوحدة ويسمى (الأحد) إذا ثبت له الشرط

والمأخوذ بالشرط الشيء الذي هو الواحد

اعتبر ظهوره من الأزل إلى الأبد

أول تعيُّن يتلو غيب الهوية ومرتبة اللاتعيين هو الوحدة أصل جميع القابليات ويتساوى ظهورها مع بطونها ، ولا تشرط وتقيد بأى من انتفاء الاعتبارات وإثباتها ، بل إنها هى عين قابلية الذات لبطون الاعتبارات وظهورها وأزليتها وأبديتها وانتفائها وإثباتها ، ولهذه الوحدة اعتباران : (الأول) اعتبارها بشرط عدم الاعتبارات وسقوطها بالكلية وهو اعتبار الأحدية وتسمى الذات بهذا الاعتبار (الأحد) ويتعلق بهذا

الاعتبار بطون الذات وأزليتها ، و(الثانى) اعتبارها بشرط ثبوت الاعتبارات غير المتناهية لها وهذا اعتبار الواحدية ، وتسمى الذات بهذا الاعتبار (الواحد) ويتعلق بهذا الاعتبار ظهور الذات وأبديتها ، إذن فالأحدية هى مقام الانقطاع والاستهلاك للكثرة النسبية الوجودية ، ولو انتفت الكثرة الوجودية فى أحدية الذات وواحديتها فإن الكثرة النسبية متعقلة التحقق فيها كتعقل النصفية والثلثية والربعية فى العدد واحد الذى هو منشأ جميع الأعداد ، وجميع التعينات الوجودية غير المتناهية مظاهر لهذه النسب المتعقلة فى مرتبة الواحدية .

(وأيضًا منها)

لمـا تـنـــزلـــت الــذات إلـــى المـــراتـــب
أزاحت ستاراً بعد ستار عنها كلما تنزلت
وفى المرتبة الأخيرة تجمعت بذاك الكيف
فى وصـــفـــهـــا ســـائـر الشـــئـــون

(الإيجاد) هو استتار وجود الحق سبحانه بصور الأعيان الثابتة والماهيات وانصباغه بأحكامهما وآثارهما ، والغاية والثمرة من استتار وجود الحق بصورة كل عين ثابتة هى ظهوره سبحانه بحسب الشأن الذى تكون هذه العين الثابتة مظهره على ذاته سبحانه ، إما على نفس هذا الشأن أو على أمثاله جمعًا وفرادى ؛ وإما أن يكون نفس ظهور هذا الشأن على الحق سبحانه أو على نفسه أو أمثاله كذلك جمعًا وفرادى ، وإما بالجمع بين الظهورين ، وكل شأن يظهر يكون الحق سبحانه بحسبه

أو الشأن الكلى الجامع لجميع أفراد الشئون أو الشأن الذى هو بعض من أفراد هذه الشئون ، ولا يتحقق ظهوره سبحانه بأحدية الجمع نفسها إلا بالنسبة لهذا الشأن الكلى الجامع الذى هو حقيقة الإنسان الكامل . إذن فإن الحق سبحانه يظهر فى مرآة الإنسان الكامل على ذاته من حيث الشأن الكلى الجامع بكليته وأحدية جمعه ، ثم يكتسب كل شأن حكم جميع الشئون ويظهر كل منها بلون الجميع ويبدو كل فرد بوصف المجموع ، لأنه كما فى مرتبة الأحدية يشمل جمع كل شأن جميع الشئون كذلك فى مرتبة الإنسان الكامل وهو الشأن الكلى الجامع. ويشمل شأن من هذه الشئون جميع الشئون . وغاية الغايات من ظهور وجود الحق سبحانه بحسب كل شأن هو هذا الاكتساب المذكور وليس ظهور ذاك الشأن فقط أو ظهور كل الحق سبحانه بحسب ذاك الشأن .

(تمثيل) يحصل للحقيقة النوعية الإنسانية صناعة الكتابة والشعر والعلم والفضل وغيرها بالقوة . وسائر هذه الأوصاف يندرج فيها من غير امتياز بعضها عن بعض وحين تظهر هذه الحقيقة فى كل من أفرادها بواحد من هذه الأوصاف مثلاً فى زيد بالشعر فى عمرو بالكتابة وفى بكر بالعلم وفى خالد بالفضل فلا يطلق أحد هذه الأوصاف على غيرها ، ولا ينصبغ أحدهم بحكم الآخر فلا يمكن قول إن الكاتب شاعر وعالم وفاضل وعلى هذا القياس ، لكن إذا تجمعت هذه الأوصاف فى ذات واحدة بشرية مثلاً فلا شك من أن كل واحد من هذه الأوصاف يتصف بما عداه بحيث يمكن القول إن الكاتب شاعر وعالم وفاضل أو إن الشاعر كاتب وعالم وفاضل إلى غير ذلك أيضًا كذلك

كل واحد من هذه الأوصاف ، يضاهى ذاك الشأن الكلى للحقيقة الإنسانية وهى قابلية الأوصاف المذكورة فى الاتصاف بالجميع وعدم الاختصاص بوصف دون وصف، إذن فحقيقة النوع الإنسانى - ولله المثل الأعلى - بمنزلة حضرة أحدية الجمع الإلهى وصنعة الكتابة والشعر وغيرهما بمثابة الشئون الإلهية وزيد وعمرو وبكر وخالد مجلى المظاهر التفصيلية الفرقانية وهى العالم ، والبشر مثال المظهر الأحدى الجمعى الإنسانى الذى ظهر كل من أفراد الشئون فيه بلون الجميع وضاهى الشأن الكلى وهو مفتاح مفاتيح الغيب والله أعلم.

(وأيضًا منها)

الواحد يرى الجميع فى أحد العدد

كما يرى الأحد ضمن العدد

يعنى بالكمال الذاتى وكمال الأسماء

يرى الجميع فى ذاته ويرى ذاته فى الجميع

للحق - سبحانه - كمال ذاتى وكمال اسمى ، والمراد بالكمال الذاتى ظهور الذات لنفسه بنفسه فى نفسه من أجل نفسه بلا اعتبار للغير والغيرية ، والغنى المطلق يلزم الكمال الذاتى ، ومعنى الغنى المطلق أن تكون الشئون والأحوال والاعتبارات للذات بأحكامها ولوازمها على وجه كلى إجمالى ، والتى تظهر فى جملة المراتب الإلهية والكيانية للذات فى بطونها ، واندراج الكل فى وحدتها كاندراج جميع العداد ومراتبها ، الجمع فى الواحد والواحد فى الأحد تكون هذه الشئون وغيرها مشاهدة

وثابتة بجميع صورها وأحكامها كما ظهرت وتظهر وتثبت وتشاهد مفصلة فى المراتب إلى الأبد ، إذن فالذات الأقدس بهذه المشاهدة مستغنية عن العالم والعالمين وظهورهم على وجه التفصيل فى مراتب أبد الآبدين ؛ لأن علم الحق سبحانه وشهوده يحصل لهم بجميع أحكامهم ومقتضياتهم عند اندراجهم فى واحديته لكنه شهود غيبى علمى كشهود المفصل فى المجمل والكثير فى الواحد ، والنخلة مع الأغصان وتوابعها فى نواة واحدة ، والعالم والعالمون فى هذا الشهود معدومون فى أنفسهم ولا يوجبون الكثرة الوجودية لأنهم جميعًا صور علمية ليس لها تحقق وثبوت فى غير ذات العالم ، والمراد بكمال الأسماء ظهور الذات وشهودها فى تعيناتها هذه المسماة بالغير والسوى ، وهذا الشهود عيانى وجودى كشهود المجمل فى المفصل والواحد فى الكثير والنواة فى النخلة وتوابعها ويستلزم التعدد الوجودى.

(وأيضًا منها)

حتى يصير الحق عيانا بجملة الأوصاف

فإن الواجب هو الذى يظهر ممكنا

وإلا فإن الحق بكماله الذاتى عن العالمين

فرد وغنى كما بين هو نفسه

حضرة الحق – سبحانه وتعالى – بموجب قوله (إن الله لغنى عن العالمين) مستغن بحسب كماله الذاتى عن وجود العالم والعالمين ، أما تحقق الكمال الأسمى وظهوره فموقوف على وجود أعيان الممكنات التى

هى مرايا الصفات ومجاليها واعتبارات الذات لأن كمال الأسماء - كما مر - هو ظهور الذات المقدسة وشهودها فى مراتب التعينات المسماة بالغير والسوى .

(سؤال) لو قيل حينئذ يلزم استكمال الحق بالغير (جواب) قلنا إن المرآة أيضًا وهى المظهر والمجلى ليست هى الغير مطلقًا حتى يلزمها الاستكمال بالغير ، وإنما لها جهتان ؛ أولهما : تعينها الشخصى الذى يلحقها وهو جهة الغيرية ، وثانيهما : جهتها الوجودية التى يقوم جميع الموجودات بها وهى عين وجود الحق - سبحانه - هكذا قال بعض شارحى النصوص ، ولا يخفى أن مرآتية الموجودات ومظهريتها لوجود الحق من حيث الغيرية لا من جهة العينية ، لأن مظهرية المرايا والمظاهر باعتبار التعين والتقيد وهى باعتبار التعين والتقيد غير الوجود المطلق ، ولو اتحدت فى حقيقة الوجود ، ويعنى المحققون بهذا الغيرية ، وغير الحقيقى نفسه عدم محض. إذن فالجواب الصواب هو قولهم إن الذات فى نفسها كاملة بلا وجود الأغيار وهم المظاهر المقيدة ، وكمال الأسماء بسبب كمال المظاهر والأسماء والشئون لا بسبب الكمال المحض للذات ؛ إذن فلا يلزم استكمال الذات بالغير.

(وأيضًا منها)

طالب الشر وكاسب الخير

وصاحب الخانقاه وراهب الدير

هم الغير على السواء ليسوا العين من وجهة التعين وهم العين وليسوا غيراً من وجهة الحقيقة

مضى فيما سبق أن حقائق الأشياء هى تعينات الوجود المطلق فى مرتبة العلم ، ووجود الأشياء هى تعيناته فى مرتبة العين ، إذن فحقائق الأشياء ووجوداتها من حيث محض حقيقة الوجود كل منهما عين الآخر وهما عين الوجود المطلق ويرتفع التمايز والتغاير عنهما بالكلية ، أما من حيث التعين يغاير كل منهما الآخر كما يغايران الوجود المطلق ، لكن تغاير أحدهما للآخر فباعتبار الخصوصيات التى تميز كل منهما عن الآخر ، أما مغايرتهما للوجود المطلق فبسبب أن كل منهما تعين مخصوص للوجود الواحد المغاير لسائر التعينات ، والوجود المطلق لا يغاير الكل ولا يغاير البعض بل هو كل فى كل العين وبعض فى بعض العين ، ولا ينحصر فى الكل وفى البعض ، إذن فغيريته باعتبار الإطلاق من الكلية والبعضية ومن الإطلاق أيضا فافهم إن شاء الله العزيز.

(وأيضًا منها)

أيها المنسوب إلى فهم المشكلات

والمحجوب عن نسبة الإمكان والوجوب

الإمكان هو الصفة الظاهرة للعلم وحسب

والوجوب مخصوص بظاهر الوجود

حينًا يطلق ظاهر الوجود مقابلاً لباطن الوجود وهو مرتبة اللاتعين والتجرد من المظاهر ويكون المراد حينئذ من ظاهر الوجود مراتب التعينات الكلية والجزئية الوجوبية والإمكانية ، وحينا آخر يطلق ظاهر الوجود مقابلاً لباطن الوجود الذى هو الصور العلمية والأعيان الثابتة ، فالمراد حينئذ منه جهة عالمية حضرة الوجود لأنه حين يتجلى حضرة الوجود على ذاته بذاته وشئون ذاته واعتباراتها فلا شك من أن حيثيتين تظهران له : حيثية العالمية وحيثية المعلومية.

وحيثية المعلومية وهى الصور العلمية والأعيان الثابتة باطنة وخفية فى ذات العالم وذات العالم ظاهرة بالنسبة لها كما نرى هذا المعنى فى أنفسنا وفى أعمالنا ، ويظهر جليًا أن كلاً من هاتين الحيثيتين المذكورتين لها اقتضاءات عديدة خاصة مع وجود التمايز بين العالم والمعلوم بمحض الاعتبار ، مثل الوحدة والوجوب والإحاطة والتأثير للعالمية ومقابلاتها ، وهى الكثرة والإمكان والمحاطية والتأثير للمعلوم ، إذن فحين يقال إن الوجوب هى الصفة الظاهرة للوجود فالمراد به ظاهر الوجود بالمعنى الثانى لا بالمعنى الأول ؛ لأن ظاهر الوجود بالمعنى الأول يشمل كافة التعينات الوجوبية والإمكانية كما سبق ؛ إذن فصفة الوجوب لا تشمل جميع التعينات الظاهرة للوجود بالمعنى الأول ويتبادر الشمول بسبب نسبة الوجوب إليه كما لا يخفى.

والمراد بظاهر العلم هو الصور العلمية والأعيان الثابتة التى من لوازمها صفة الإمكان ، وهى تساوى نسبتها بالظهور والبطون اللذين يعبر بهما عن الوجود والعدم الخارجى والباطن.

وظاهر العلم هو عين الوجود الشامل للشئون والاعتبارات ومن حيث ظاهرهما يقع التميز النسبى فافهم فإنه سر مُبْهم ·

(وأيضًا منها)

الحق هو العالم وأعيان الخلائق هى المعلوم

والحاكم معلوم والعالم محكوم

يعمل عليك بموجب حكمك

فأت المعذب وأنت المرحوم

(وأيضًا منها)

لا مانع لحكم القضاء والقدر

يقع بموجب العلم الأزلى

ويتبع العلم الأزلى الأعيان

وتتبع الأعيان شئون الحق

القضاء هو الحكم الإلهى الكلى على أعيان الموجودات بالأحوال الجارية وبالأحكام الطارئة عليهم من الأزل إلى الأبد ، والقدر هو تفصيل هذا الحكم الكلى بما يُخَصص إيجاد الأعيان بالأوقات والأزمات التى تقتضى استعداداتها وقوعه فيها ، وبأن يعلق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص ، وسر القدر هو أن لا يمكن لأى عين من الأعيان الثابتة أن يظهر فى الوجود ذاتًا وصفة وفعلاً إلا بقدر خصوصية قابليته

الأصلية واستعداده الذاتى وسر سرّ القدر هو أن الأعيان الثابتة ليست أموراً خارجة عن ذات الحق سبحانه وتعالى ؛ لأنها معلومة لدى الحق أزلاً وتعينت فى علمه على ما هى عليه بل هى النسب والشئون الذاتية للحق ، إذن فلا يمكن أن تتغير عن حقائقها لأن ذاتيات الحق ﴿سبحانه وتعالى﴾ منزهة ومبرأة عن قبول الجعل والتغير والتبدل والمزيد والنقصان، فإذا علمت هذه الأمور فاعلم أن حكم الحق - سبحانه وتعالى - على الموجودات تتبع علمه بأعيانها الثابتة ، وعلمه سبحانه بالأعيان تابع للأعيان بمعنى أنه لا أثر البتة للعلم الأزلى فى المعلوم بإثبات أمر له لم يثبت أو بنفى أمر ثبت بل إن تعلق علمه بالمعلوم على ذاك الوجه الذى عليه هذا المعلوم فى حد ذاته وليس للعلم فيه بأى شكل تأثير وسريان . والأعيان الثابتة هى صور النسب والشئون الذاتية لحضرة الحق سبحانه وتعالى ، والنسب والشئون الذاتية للحق مقدسة ومنزهة عن التغير والتبدل أزلاً وأبداً ، إذن فالأعيان بدورها ممتنعة التغير عما هى عليه فى حد أنفسها. وحكم الحق عليها بمقتضى قابلياتها وموجب استعداداتها ، وكل منها يطلب بلسان الاستعداد من حضرة الحق والوجود عز شأنه فيعطيه وينعم عليه بما يليق به وبقدر ما يجدر له بلا نقصان وزيادة سواء من دركات الشقاوة أو من درجات السعادة.

(وأيضًا منها)

الأعيان التى ظهرت من مكمن الغيب

وارتدت من حضرة الحق خلعة الوجود

على موجب حكمه (وهو يبدئ ويعيد)

لهـا فى كل آن خلعـة ولبس جـديد

(وأيضًا منها)

الشىء الذى ظهـوره على منوال واحـد

وفى صـفـة الوجـود على حـال واحـدة

إذا كـان له بقـاء من الـوهلـة الأولى

فليس بقـاء وإنما تجـدد الأمـثـال

حقيقة الإنسان بل كل ذرة من ذرات العالم بالنسبة إلى ذاته وحقيقته لا إلى علم موجده تعالى به عدم يعرض ويطرأ من فيض وجود الحق تعالى وجوده عليه بحسب قابليته ، وذاك برابطة الوجود العلمى الذى كانت لصورة معلوميته فى علم الحق تعالى القديم ، قال الله تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ، وبعد وجوده هذا الوجود العارض عليه فإنه يميل بموجب (كل شىء يرجع إلى أصله) كل لحظة إلى أصله وهو العدم ، أو بحد قولى أنا إنه ليس لأى شىء أصلاً حظاً من الثبات والقرار بسبب نفاذ الأمر القاهر للوحدة الحقيقية فى محل ظهور آثار الاسم العظيم لله وهو (الظاهر) ، وليس لأى شىء قط حظٌ من الثبات والقرار أصلاً حتى للزمان المتعارف الموهوم الاتصال الذى لايمكن تصور معنى البقاء بدون ملاحظته ، أو أقول إن الذات الإلهية بسبب أن أسماءها وصفاتها هى التى تتجلى دائمًا على أعيان العالم كما أن بعض هذه الأسماء يقتضى وجود الأشياء فإن بعضها يقتضى عدم الأشياء مثل المعيد والمميت والقهار وغيرها، إذن

فالحق سبحانه وتعالى يتجلى حيناً بالأسماء القاضية بوجود الأشياء ، ويتجلى حيناً آخر بالأسماء القاضية بعدم الأشياء ، بل إنه يتجلى فى كل زمان لا بل فى كل آن بكل نوع من هذين النوعين لأسمائه ، وعليه فإن الأشياء ترجع فى كل آن إلى عدمها الأصلى وفنائها الذاتى وتنخلع من اللباس العارض والخلعة المستعارة للوجود ، ولكن بسبب المدد الذى يلحقها لحظة بعد لحظة من صفة بقاء الحق تعالى ، وتتلبس فى نفس تلك اللحظة بوجود آخر وهذه الخلع والألبسة دائمة الوقوع فلا ينقطع فى أى وقت أثر إيجاد الحق تعالى وخالقيته عنهم برغم أنهم غافلون عن وصول هذا الأثر والمدد إليهم كما قال تعالى (بل هم فى لبس من خلق جديد) ، وبعض الأمور التى تظهر باقية للرؤية على حال واحدة ويدوم ظهورها على وتيرة واحدة فيجب اعتبار ذاك الظهور والدوام من تجدد التعينات المتماثلة المتوافقة ، ولا يجب الوقوع فى الغلط بسببها : لأن الفناء والبقاء أمران اعتباريان يظهران من تجدد التعينات المتباينة والمتوافقة ، وإنما البقاء الحقيقى لازم بذات الوجود ومجازى بحسب امتداد المظاهر المتوافقة والفناء اسم ارتفاع تعين مخصوص وهو لازم لذات التعين (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - العالم بجميع جواهره وأعراضه صور وأشكال للأعيان الثابتة الظاهرة فى مرآة وجود الحق المطلق أو هو من نفس تعينات الوجود الحق وتنوعات الوجود المطلق الظاهر فى صور حقائق العالم ، والأعيان الثابتة وجود . والوجود الحق المطلق دائم الفيضان والسريان فى حقائق الأعيان ، إذن فما يقبل من الوجود الحق للصورة العينية من الأعيان على الوجه الأول أو ما تعين من وجود الحق فى صورة عين

من الأعيان على الوجه الثاني يتلبس بصورة تلك العين لدى ملابسته للوجود ومحاذاته لتلك العين ، وبسبب الاتصال الفيضى الوجودى التابع لذاك الفيض الأول ينخلع ذاك الفيض الأول عن صورة تلك العين ويتلبس بصورة أخرى تكون لتلك العين فى مواطن أخرى حتى يظهر الوجود بصورة هذه العين فى جميع مراتب الوجود ومواطنه ، وفى نفس ذاك الآن أيضًا يتلبس الوجود المتعين ثانيًا التابع للأول بصورة تلك العين مثل وجود المتعين أولاً ، وهكذا الأمر دائمًا أبدًا ، ومثال هذا بعينه الماء الجارى الذى إذا حاذى جزء منه موضعًا من النهر فإنه يتشكل بشكل هذا الموضع ويظهر بصورته ولكنه لا يبقى بهذا الموضع فى آنين معًا ؛ بل يمر فى تلك اللحظة ويترك موضعه لجزء آخر فيتشكل هذا الجزء الثانى بدوره بشكل ذاك الموضع ثم يتبدل إلى الجزء الثالث فى الحال وهكذا إلى ما لانهاية ، لكن الحس بسبب تشابه الأجزاء المائية وتشكلها بشكل واحد لا يستطيع أن يميز بينها ويعتبر الجزء الثانى مثلاً نفس الجزء الأول مع أن حكم العقل الصحيح والكشف الصريح بخلاف ذلك .

(وأيضًا منها)

الحق وحدانى وفيض الحق وحدانى

وإنما كثرة الصفة للقوابل الإمكانية

وأى نوع من التفاوت تشاهده

يجب أن تعده من اختلاف القوابل

إن إمـــداد الحق – سبحانه وتعالى – وتجلياته تصل إلى أعيان الموجودات فى كل لحظة ونفس ، وفى تحقيق أوضح وأتم هو تجلٍّ واحد يظهر له بحسب قوابلها ومراتبها واستعداداتها تعينات متعددة ونعوت وأسماء وصفات متكثرة متجددّة ، وليس لأن ذاك التجلى متعدد فى نفسه أو أن وروده طارىء ومتجدد بل لأن أحوال الممكنات مثل التقدم والتأخر وغيرهما تصير مرهونة بالتجدد، ويُفْضى التعدد إلى التغير والتقيد وإلا فإن أمر ذاك التجلى أجلى وأعلى من أن ينحصر فى الإطلاق والتقيد، ويتصف بالنقصان والزيادة ، وهذا التجلى الأحدى المشار إليه ليس إلا الفيض الوجودى والنور الوجودى الذى لا يصل غيره من حضرة الحق – سبحانه وتعالى – إلى الممكنات لا بعد الاتصاف بالوجود ولا قبله ، وكل ما هو خلاف ذلك هو أحكام الممكنات وآثارها التى يتصل بعضها ببعضها الآخر بعد الظهور بالتجلى الوجودى المذكور ، ولأن هذا الوجود الذاتى ليس لما سوى الحق سبحانه بل يستفاد من التجلى المذكور فإن العالم مفتقر إلى هذه الامداد الوجودية الأحدية مع الآنات دون فترة وانقطاع لأنه إذا انقطعت هذه الأمداد طرفة عين عاد العالم إلى فنائه الأصلى وعدمه الذاتى، لأن حكم العدم أمر لازم للممكن مع قطع النظر عن الموجد تعالى وله وجود عارض، والتفاوت الواقع بين الممكنات المتمثل فى تقدمها أو تأخرها فى قبول هذا الوجود الفائض بسبب التفاوت بين استعدادت ماهياتها. إذن فكل ماهية تامة الاستعداد هى الأسرع والأتم فى قبول الفيض مثل ماهية القلم الأعلى المسمى بالعقل الأول ، وكل ماهية ليست تامة الاستعداد تتأخر فى قبول الفيض عن تامة الاستعداد سواء بواسطة

واحدة أو بوسائط كما ثبت شرعًا وكشفًا وعقلاً . ومثال هذا بعينه وجود النار في النفط والكبريت والحطب اليابس والحطب الأخضر ، فلا شك في أن النفط أسرع وأتم في قبول الصورة النارية عن غيره ، ثم يليه الكبريت ، ثم الحطب اليابس ، ثم الحطب الأخضر إذن لا يخفى أن علة سرعة قبول النفط للصورة النارية هي قوة التناسب الموجودة بين النفط والنار من الحرارة واليبوسة وهما من الصفات الذاتية للنار ، وكذلك علة تأخر قبول الحطب الأخضر فلها حكم التباين الثابت له من الرطوبة والبرودة المنافية لطبع النار وصفاتها الذاتية ، لكن يجب التنبه إلى أن بيان علة التناسب والمباينة ممكنة في هذه الأمثلة لكنها متعذرة بين الاستعدادت والفيض الصادر من الموجد تعالى شأنه ؛ لأنه من الأسرار الإلهية التي لا يمكن أن يطلع عليها غير كملّ أولياء الله – رضوان الله عليهم أجمعين – ولا يجوز إفشاؤه على غير أهله.

(وأيضًا منها)

ليس في الكون والمكان عيان غير نور واحد

ظهر هذا النور بأنواع الظهور

الحق هو النور والعالم تنوع ظهوره

وهذا هو معنى التوحيد وما عداه وهم وغرور

النور الحقيقي ليس أكثر من واحد وهو نور الله ، ونور الله منبسط وغير محدود وغير متناه ، والعالم هو تجلي نور الله تجلى ببضع آلاف صفة وأظهر نفسه بهذه الصور. أعلم وفقك الله وإيانا لفهم الحقائق أن

تعينات الحق وتميزات الوجود المطلق بحسب الخصوصيات والاعتبارات والشئون التى تختفى فى غيب الذات لا تخلو من أن تكون فى مرتبة العلم أو فى مرتبة العين ، فإن كانت فى مرتبة العلم فهى حقائق الأشياء وماهياتها المسماة فى اصطلاح هذه الطائفة بالأعيان الثابتة.

وإذا كانت فى مرتبة العين فهو وجودات الأشياء ، إذن حقائق الأشياء عبارة عن تعينات الوجود الحق فى مرتبة العلم باعتبار خصوصيات الاعتبارات والشئون المختفية المستجنة فى غيب الذات ، وحين يتجلى الوجود على نفسه يتلبس بشأن من شئون التجلى الغيبى الحقيقى من حقائق الموجودات ، وحين يتجلى يتلبس بشأن آخر لحقيقة أخرى من الحقائق وعلى هذا القياس. ووجود الأشياء عبارة عن تعينات وجود الحق وتميزاته فى مرتبة العين باعتبار أحكام هذه الحقائق والماهيات وآثارها بنحو أن تكون الحقائق والماهيات على الدوام فى باطن الوجود أعنى مرتبة العلم ثابتة وآثارها وأحكامها ، وهى الظلال والعكوس لها فى ظاهر الوجود وهو المجلى والمرآة تكون واضحة وبادية لباطنه وقتما يتعين ظاهر الوجود بسبب انصباغه بآثار وأحكام لحقيقة من حقائق موجود من الموجودات العينية الخارجية. وحين ينصبغ بأحكام حقيقة أخرى يوجد موجود آخر من تلك الموجودات هكذا إلى ما لانهاية. إذن فهذه الموجودات المتكثرة المتعددة المسماة بالعالم ليست غير تعينات نور الوجود الحق سبحانه وتنوعات ظهوره التى تبدو ظاهراً ، بحسب المدارك والمشاعر التى هى من أحكام تلك الحقائق وآثارها متعددة ومتكثرة بينما هى فى الحقيقة على نفس وحدتها الحقيقية التى هى منبع

لكل الوحدة والكثرة والبساطة والتركيب والظهور والبطون . ولا يخفى أن التعين هو صفة المتعين ، وصفة عين الموصوف من حيث الوجود مع أنهما يتغايران من حيث المفهوم ولذا قيل (التوحيد للوجود والتميز للعلم) والله أعلم بالحقائق.

(وأيضًا منها)

الأعيان جميعًا زجاجات مختلفة

سقط عليها شعاع من نور الوجود

وكل زجاجة حمراء كانت أوصفراء أو زرقاء ظهرت الشمس فيها كذلك بنفس لونها

نور الوجود الحق – سبحانه وتعالى ، ولله المثل الأعلى – بمثابة النور المحسوس والحقائق والأعيان الثابتة بمنزلة الزجاجات المتنوعة المتلونة ، وتنوعات ظهور الحق – سبحانه – فى تلك الحقائق والأعيان كالألوان المختلفة ، وكما أن ظهور ألوان النور بحسب ألوان الزجاج الذى يحجبه وهو فى نفس الأمر ليس له لون حتى إذا كان الزجاج صافيًا وأبيض ، ويبدو النور فيه أو به صافيًا وأبيض وإذا كان الزجاج كدرًا وملونًا ، يبدو النور فيه كدرًا وملونًا مع أن النور فى حد ذاته مجرد ومبرأ من اللون والشكل فكذلك نور الوجود الحق – سبحانه وتعالى – له ظهور مع كل واحدة من الحقائق والأعيان ، فإن كانت تلك الحقيقة والعين قريبة إلى البساطة والنورانية والصفاء مثل أعيان العقول والنفوس المجردة ظهر نور الوجود فى ذاك المظهر فى غاية الصفاء والنورانية

والبساطة ولو كانت بعيدة كأعيان الجسمانيات بدا نور الوجود فيها كثيفًا مع مع أنه ليس كثيفا أو لطيفا فى نفسه ، إذن فهو تقدس وتعالى الواحد الحقيقى والمنزه عن الصورة والصفة واللون والشكل فى حضرة الأحدية كما أنه سبحانه الذى ظهر فى المظاهر المتكثرة بالصور المختلفة بحسب الأسماء والصفات ، وأجلى ذاته على نفسه بتجلى الأسماء والصفات والأفعال.

(وأيضًا منها)

حين يتنفس البحر ما يسمى البخار

وحين يتراكم ذاك النفس يتكون السحاب

ثم إذا قطر هذا السحاب انهمر مطراً وصار المطر سيلاً وصار السيل فى النهاية بحراً

(وأيضًا منها)

الوجود بحر قديم جداً بلا قاع

ثم ظهر فى صورة الموج والحباب

فاحذر أن يحجبك الحباب أو الموج

عن البحر فكل ما عداه سراب

البحر فى اللغة العربية اسم للماء الكثير وليس فى الحقيقة غير الماء ، وحين تتعين وتتميز الحقيقة المطلقة للماء بصورة الموج يسمى موجًا ، وحين يتقيد بشكل الحباب يسمى حبابًا ، وكذلك إذا تبخر سمى

بخاراً وإذا تراكم هذا البخار وصار طبقة فوق طبقة تحول سحاباً وأصبح هذا السحاب بسبب التقطر مطراً ، ثم صار هذا المطر بعد تجمعه وقبل بلوغه البحر سيلاً ثم غدا السيل بعد وصوله البحر بحراً ، إذن فالبحر فى الحقيقة ليس هنا إلا شيئًا واحداً وهو الماء المطلق الذى يسمى بهذه الأسماء بحسب الاعتبارات وعلى نفس هذا القياس ليست حقيقة الحق - سبحانه وتعالى - غير الوجود المطلق ، الذى بسبب تقيده بالمقيدات يسمى بأسمائها بحيث يسمى أولاً بالعقل ، ثم بالنفس ، ثم بالفلك ، ثم بالأجرام ، ثم بالطبائع ، ثم بالمواليد إلى غير ذلك ، وليس فى الحقيقة غير الوجود والمطلق الذى تسمى بهذه الأسماء بحسب اعتبارات تنزله من حضرة الأحدية إلى الواحدية ومن حضرة الواحدية إلى حضرة الربوبية ومنها إلى حضرة الكونية ، ومنها إلى حضرة الجامعة الإنسانية وهى آخر الحضرات الكلية ، إذن فإن ينظر الجاهل إلى صورة الموج والحباب والبخار والسحاب والسيل وقال إن هذا هو البحر ، ولم يعلم أن البحر ليس إلا الماء المطلق الذى ظهر بصور هذه المقيدات وأجلى نفسه فى هذه المظاهر المختلفة ، فمثله من ينظر إلى مراتب العقول والنفوس والأفلاك والأجرام والطبائع والمواليد ويقول إن هذه هى الحق ، ولم يعلم أنها جميعًا مظاهره ، وهو سبحانه لا يخرج عن هذه المظاهر وهى لا تخرج عنه ، أما العارف فحين ينظر يعلم ويرى أنه كما أن البحر اسم للحقيقة المطلقة للماء ، المحيط بجميع مظاهره وصوره من الموج والحباب وغيرهما ، وليس بين الماء المطلق وهذه المظاهر والصور مغايرة ومباينة بل يصدق على كل قطرة من القطرات وكل موجة من الأمواج أنها هى عين الماء من حيث الحقيقة وهى غيره من حيث التعين ، فكذلك اسم الحق

عبارة عن الحقيقة المطلقة المحيطة بكل ذرة من ذرات الموجودات وبكل مظهر من مظاهر الكائنات ، وليس بينها وبين هذه المظاهر تغاير وتباين، ويصدق اسم الحق على كل منها من حيث الحقيقة مع أنه غيرها من حيث التعين ؛ إذن فلا يرى فى الواقع غير وجود مطلق ووجود مقيد ويعتبر حقيقة الوجود فى كلا الاثنين واحدة ، ويعد الإطلاق والتقيد من نسبها واعتباراتها .

(وأيضًا منها)

أعيان الحروف مختلفة فى صورها

كنها جميعًا فى ذات حرف الألف مؤتلفة

فهى من ناحية التعين متخالفة

ومن ناحية الحقيقة هى جميعا عين الألف

الألف الملفوظة صوت مطلق ممتد لا يتقيد بالصدور من مخرج أو بعدم الصدور منه ، والألف المكتوبة امتداد خطى غير مقيد بشكل مخصوص من الأشكال المختلفة الحرفية أو بعدمه ، إذن فالألف اللفظية هى حقيقة الحروف اللفظية التى تقيدت بسبب مرورها على المخارج المخصوصة بكيفيات مختلفة وتسمت بأسماء كثيرة ، والألف الخطية هى حقيقة الحروف المرقومة التى تشكلت بأشكال مختلفة وسميت بأسماء كثيرة ، وعلى كل تقدير هى دالة بالمماثلة فى الوجود المطلق الذى هو أصل الموجودات المقيدة وليس به أى قيد ، لكن ليس له ظهور إلا ضمن وجود المقيد ، والحقيقة المقيدة هى نفس هذه الحقيقة المطلقة بانضمام

قَيْدٍ ، والمـقيدات باعـتبار خصـوصيات القيود يغاير بعـضها بعضًا وباعتبار الحقيقة المطلقة أحدها عين الآخر.

إذن فحقيقة جميع أجزاء الوجود وجود واحد ظهر بسبب الاحتجاب بصـور تعـينات الموجـودات واحـتـجـبت بواسطة الظـهـور في مـلابس تنوعاتها كشأن ظهور الألف بالحروف واحتجابها بكيفياتها وأشكالها.

(وأيضًا منها)

في مـــذهب أهل الكـشف وأرباب العـــقل

الواحـــد ســـارٍ في كـــافـــة أفـــراد العـــدد

لأن الـعـــــــــدد ولـو زاد عـن الحـــــــــد

فـإن الواحـــد صـورته ومـادته علـى السـواء

(وأيضًا منها)

تحـصـــيـل وجـــود كل عـــدد مـن الواحـــد

تفـــصـــيل مـــراتب الواحـــد من العـــدد

والعارف الذى يستمد من الفيض روح قدسه

يعتقد بأن علاقـة الحق بخلقه كالواحد بالعدد

للواحد ظهور في مراتب الأعداد من الاثنين إلى مالا نهاية له ، وكل ظهور له في كل عدد خاصية وفائدة لا يوجدان في العدد الآخر ، وحقيقة كل عدد تغاير حقيقة الآخر وكلها تفصيل لمرتبة العدد واحد يعنى أنها

تُبَيِّنه ؛ لأن الواحد هو الذى ظهر بتكرار فى هذه المراتب لأن الاثنين واحدان والثلاثة ثلاثة واحدات وكذلك جميع الأعداد التى تجمعت فى هيئة وجدانية وحصل منها رقم اثنين وثلاثة وغيرهما من الأعداد ، إذن فمادة الأعداد واحد متكرر وصور الأعداد أيضًا صورة الواحد ؛ إذن فكل الأعداد موجودة بالواحد والواحد باق أزلاً وأبداً على واحديته ، وإيجاد الواحد للأعداد بتكرار نفسه مثال لإيجاد الحق للخلق بظهوره فى الصور الكونية ، وتفصيل العدد لمراتب الواحد مثال لإظهار أعيان أحكام الأسماء والصفات ، والارتباط بين الواحد والأعداد وهو موجدها وهى تفصيل مرتبته مثال للارتباط بين الحق والخلق فالحق موجد للخلق والخلق تفصل مرتبته تنزلات الحق وظهوراته ، وحين تقول إن الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وربع الأربعة وخمس الخمسة فقولك مثال للنسب اللازمة التى تسمى صفات الحق.

(وأيضًا منها)

المعشوق واحد لكن وضع أمامه

لرؤيته آلاف المرايا

فظهرت فى كل واحدة من هذه المرائى

صورته بنفس صقل المرآة وصفائها

الوجود الحقيقي واحد ممتاز عن سائر الموجودات من حيث الإطلاق والذات وظاهر بذاته فى صور أعيان جميع الموجودات من حيث الأسماء والصفات ، وهذه الأعيان هى مرائى تعيينات نوره ومجالى تنوعات

ظهوره حتى لا يظهر فيها غير الوجود المتعين بحسب مجلى المرآة وصفائها وكرورتها .

والتعدد الذى يشاهد هو بحسب تعدد المرائي ومثاله في المحسوس أنك مثلاً إذا توجهت إلى جدار تثبتت عليه جميع هذه المرائى ، فلا شك أنك ستظهر فى كل مرآة منها صورتك ولكن بظهورات مختلفة بحسب جوهر المرآة ومجلاها ، ولسوف تعلم – بلا ريب – أنك أنت الظاهر فيها وليس غيرك أحد آخر وأنت كما أنت وبالصفة التى كنت عليها فى مرتبة وجودك، إذن فاعتبر أعيان الموجودات بمنزلة المرائي المتعددة المتكثرة وأن الذات الإلهية ولله المثل الأعلى بمثابة الوجه الواحد .

(شعر)

فما الوجه إلا واحد غير أنه

إذا أنت عَدّدت المرايا تعددا

(فرد)

بكل مرآة بوجه مختلف

يظهر جماله فى كل لحظة

(نظم)

وجه واحد وله مائتا ألف برقع

وضفيرة واحدة لها مائتا ألف مشط

شـمعـة واحـدة ولهـا مـائتـا ألف مـرآة

وطائر واحـد وله مـا لا يعـد من الأعـشـاش

والله ولى الهداية والإعانة

(وأيضًا منها)

لن تستطيع كـشف الحجاب عن كنز الحقـيقة

مـا لـم تخـرب طـلسـم وجـودك

الحـقـيـقـة هى البـحـر والكلام هو السـراب

ولا يرتوى أحـد من السـراب بدل البـحـر

(وأيضًا منها)

كنس غـبار الكثـرة من ساحة الـقلب أفضل من الجـدال عبـثًا فى الوحدة

لا تغتر بالكلام فتوحيد الله هو رؤيته واحدًا لا القول بأنه واحد

التـأمل فى الكلمات القدسية لأرباب التوحيد والتفكر فى الأنفاس المباركة لأصحاب المواجيد – قدس الله أسرارهم – للتنـبيه والتشـويق لا لتحصيل كمال المعرفة وتحقيقها ؛ لأن علومهم ومعارفهم ذوقية ووجدانية لا نقليـة وتقليدية أو عـقلية وبرهـانيـة ؛ إذن فـمن كـمـال الجـهـالة وغـاية الضـلالة بسط بساط المباحثة والرضـا بالمجادلة التى بلا حاصل وتفاوت عظيم بين قول اللسـان وشـعور الوجدان والسـمع بالأذن وطى الدرجات

الكثار ، ولا يحلو فمك بذكر اسم السكر ما لم تذق السكر ، ولا يتعطر مشامك بريح المسك مهما وصفت المسك ، إذن فحين تتحرك فى الطالب الصادق سلسلة الشوق وتقوى داعية الطلب بواسطة مطالعة هذه الكلمات فلا يجب أن يقنع بمجرد السمع والقول ، بل يعقد حزام الاجتهاد ويسعى بحسب المقدور فى تحصيل هذا المطلوب فلعل التوفيق يوافقه والسعادة تساعده . وأعلى أطوار سلوك مشايخ الطريقة – قدس الله تعالى أسرارهم – فى تحصيل هذا المطلوب هو طريق سلوك حضرة الخواجة وخلفائه – أعنى الحضرة العلية – وصدر مسند الإرشاد والهداية ، جامع النعوت والخصائص للولاية ، ملاذ الزمان وقطب أهل الحقيقة والعرفان ، مظهر الصفات الربانية ومورد الأخلاق السبحانية إنسان عيون المحققين ، وارث الأنبياء والمرسلين ، الخواجة بهاء الحق والدين محمد بن محمد البخارى المعروف بالنقشبند – قدس الله تعالى روحه وطيب مشهده ونور ضريحه – لأن طريقه أقرب السبل إلى المطلب الأعلى والمقصد الأسنى وهو الله – سبحانه وتعالى – فإنها ترفع حجب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية فى الكل بالمحو والفناء فى الوحدة حتى تشرق سبحات جلاله فتحرق ما سواه، وفى الحق فإن نهاية سير المشايخ هى بداية طريقهم لأن أول ورودهم هو حد الفناء ، وسلوكهم بعد الجذبة يعنى التفصيل المجمل للتوحيد الذى هو المقصود من خلق العالم والناس (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أى ليعرفون.

(وأيضًا منها)

حين ترى المُلك على مسند الفقر

فأنت عليم يقينا بأسرار الحقيقة

ولـو تنـقش عـلى لـوح قـلبـك صـــــورتـه

تجد طريقًا من هذا النقش إلى (   ) النقشبند

(وأيضًا منها)

المتـــألّمـــون يعلمـــون ســر همـــوم العـــشق

وليـس المتـــــفـكهـــــون والمغـــــــرورون

ويمكن السـيـر مـتـخطيًـا النقش إلى من لا نقش له ، وهذا النقش الغريب يعرفه النقشبنديون

وطريقـة توجـه حـضـرة الخـواجـة وخلفـائه – قـدس الله تعـالى أسرارهم – وتربية نسبتهم الباطنية هى إذا أراد أحد الاشتغال بهذه التربية فيستحضر أولاً صورة ذاك الشخص الذى ينتسبون إليه فى خياله حتى ذاك الوقت الذى تبدو فيه أثر حرارتهم وكيفيتهم المعهودة ، ثم يلازم تلك الكيفية كل منهم بتلك الصورة والخيال التى هى مرآة الروح المطلقة ، ويتوجه إلى القلب الذى هو الحقيقة الجامعة الإنسانية التى يفصلها مجموع الكائنات من العلوية والسفلية . ومع أن هذه الحقيقة منزهة عن الحلول فى الأجسام لكن بما أن نسبته توجد بينها وبين هذه القطعة الصنوبرية من اللحم أو القلب ؛ إذن فلا مناص من التوجه إلى هذه اللحمة الصنوبرية وتركيز النظر والفكر والخيال وسائر القوى عليها والحضور بها وإقرارها – أى الحقيقة – فى القلب ، ولا نشك فى أن الغيبة والفناء يحدثان فى هذه الحالة فيجب عد كيفيتهما طريقًا لابد من تعقبه ونفى أى فكرة ترد متوجهًا إلى حقيقة قلبه وحسب وعدم الانشغال

بأى شيء سواها والأسراع بالهرب فى ذاك المجمل إلى الكلى حتى يتحقق ذاك النفي ، ويمتد زمان كيفية الغيبة والفناء ، ولا ينفصم أحدهما عن الآخر كما قيل .

(بيت)

إن استطعت وصل الإعدام

عرفت العمل بعمل أَرْجَل الرجال

وقال حضرة الخواجة - قدس الله سره - فى ترقى حال هذه الكيفية وزيادة هذه النسبة ومقدمة ظهور صفة الفناء (مصراع) : (ألق بمراميك ونفسك إلى هذا الفناء) ، ولو اضطرب تفكيره فالأمل باستحضار خيال حضرة المرشد أن يندفع هذا التشويش وإلاّ فعليه أن يزفر فى ثلاث مرات أنفاسه بقوة كأنه يطرد شيئًا من دماغه ويخلى نفسه منه ، ثم ينشغل بالطريقة المذكورة ، وإذا عادت تلك الخواطر عليه بعد التخلية بالطريقة المذكورة أن يقول ثلاث مرات : (استغفر الله من جميع ما كره الله قولاً وفعلاً وخاطراً وسامعًا وناظراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ويجعل قلبه موافقًا لسانه فى هذا الاستغفار وينشغل تمامًا بدفع الوساوس الأصلية من قلبه بالكلام أو الفعال ، فإذا لم يندفع بهذا أيضًا يتأمل فى قلبه بضع مرات كلمة (لا إله إلا الله) ، بحيث يتصور أنه (لا موجود إلا الله)، فإذا لم يندفع بهذا كذلك يقول مراراً جهراً (والله) ويمد قوله ويغوص به فى قلبه وينشغل بهذا دائمًا ما لم يصبه الملل ، فإن

أصابه الملل ترك دفع الوساوس والخيال لأنهما - وإن كانا مشوشين له - موجود من الموجودات الذهنية قائم بالحقيقة في الحق بل هو عين الحق لأن الباطل كذلك بعض من ظهورات الحق كما قال الشيخ أبو مدين قدس الله سره :

(شعر)

لا تنكر الباطل فى طوره

فإنه بعض ظهوراته

واعطه منك بمقداره

حتى توفى حق إثباته

وقال الشيخ مؤيد الدين الجندى فى تتميمها شعراً

فالحق قد يظهر فى صورته

ينكرها الجاهل فى ذاته

ولا شك من أن ذوقًا سيحصل بهذه الملاحظة وتقوى نسبة الأعزاء ويجب نفى ذلك الفكر فى ذلك الزمان والاتجاه إلى حقيقة الفناء وإسلام النفس إليها وتعقبها ، وما دامت هذه النسبة للغيبة والفناء فى ترقٍ فإن الفكر فى حقائق الأشياء والتوجه إلى الجزئيات هو عين الكفر (مصراع): (البقاء كفر والفناء دين) ، بل لا يجب كذلك الفكر فى أسماء الله وصفاته وإذا استطاع نفاه أيضًا لأن المطلب الروحانى لهذه الطائفة

توجههم إلى الفناء فى حدود وادى الحيرة ومقام تجلى أنوار الذات ، وما من شك فى أن الفكر فى الأسماء والصفات أدنى من هذه المرتبة .

(مثنوى)

لا تكن أصلاً فهذا هو الكمال وحسب

أسرع بالفناء فهذا هو الوصال وحسب

(وأيضًا منها)

امسك يا أخى بأول خيط الدولة

ولا تقض عمرك الغالى فى خسارة

احتفظ دائمًا فى كل مكان ومع كل إنسان وفى كل شأن بعين قلبك مغمضة فى جانب الحبيب

ويجب التدريب على هذه النسبة ؛ بحيث لا تخلو قط ، منها وإذا غفلت لحظة فعليك استئناف التدريب بالطريقة المذكورة ، ولابد من دوام الحضور وتركيز عين قلبك على حقيقتك الجامعة وأنت فى الدار والسوق والبيع والشراء والطعام والشراب وكافة الأحوال وجعل هذه الحقيقة نصب العين واستحضارها ، وعدم الغفلة عنها بالصور الجزئية بل يعد كافة الأشياء قائمة بها ، ويسعى إلى أن يشاهدها فى سائر الموجودات المستحسنة وغير المستحسنة إلى أن يبلغ الحد الذى يرى فيه نفسه فى كل شىء، وبعد كل الأشياء مرآة جماله الكامل بل يرى كل الأشياء أجزاء له.

(مصراع)

كل الجميل والقبيح جزء بالدرويش

ولا يغفل عن مشاهدتها أثناء الكلام بل يوجه إليها عين قلبه ولو كان مشغولاً فى الظاهر فى أمر آخر كما قيل :

(نظم)

كن عـــارفًـــا بداخلـك غـــريبًـــا بخـــارجك

فـــهـــذا المسلـك البـــديـع نادر فى العـــالم

وكلما زاد الصمت قويت تلك النسبة ، ويجب أن يحفظ المتوجه نفسه من الغضب لأن الغضب يخلى الباطن من نور المعنى وإذا وقع – والعياذ بالله – غضب أو حدث قصور ، بحيث يطرأ تكدر قوى وتضعف أو تقل السيطرة على النفس قام فاغتسل فإن زال الغضب وعادت الطمأنينة بالماء البارد الذى يهب صفاء كثيراً فَبِها وإلا اغتسل بالماء الساخن وارتدى رداء طاهراً وصلى ركعتين فى مكان خال ويتنفس مراراً بقوة ويخلى نفسه وينشغل بالطريقة المعهودة ، ويتضرع فى الظاهر أيضًا إلى حضرته الجامعية ، ويتوجه إليها بالكلية ، ويدرك أن هذه الحقيقة الجامعة هى مظهر مجموع ذات الله سبحانه وصفاته وليس معنى ذلك أن الله حل فيه تعالى الله عن ذلك بل بمنزلة ظهور الصورة فى المرآة ؛ إذن فهذا التضرع فى حقيقته إلى الله الحق – سبحانه وتعالى – حين يريد الانشغال بمهمة تلا بأتم ما يكون التفرغ هذا الدعاء فى حضرته الجامعة (اللهم كن وجهتى فى كل وجهة ومقصدى فى كل

قصد وغايتي في كل سعي وملجئي وملاذي في كل شدة ووكيلي في كل أمر وتولني تولي محبة وعناية في كل حال) ، وبعد ذكر الحق - سبحانه - ودعائه يشرع في ذاك الأمر المهم متوجهًا وحاضراً مع حضرته سبحانه . وبعض من هذه الطائفة العلية قدست أسرارهم قالوا بالتوجه إلى الصورة الكتابية ورعاية الهيئة الرقمية لكلمة (لا إله إلا الله) أو الاسم المبارك (الله) بدل التوجه إلى الشيخ ، ورعاية صورته سواء كانت مكتوبة في موضع خارج ذواتهم وينظرون إليها بالحواس أو الخيال أو تخيلوها في حوالي صدروهم وقلوبهم لأن المقصود من التوجه إلى بعض الأمور الكونية هو دفع الخواطر المتفرقة وتفريغ القلب من كثرة الصور الكونية حتى تتحمي آثار الكثرة في غلبة التوجه، وينجذب الطالب المتوجه إلى حدود نسبة الغيبة وكيفية الفناء وتزول أيضاً بالكلية صورة ذاك الجزئي المتوجه إليه ، ولا شك من أن ذاك الأمر المتوجه إليه من أي جنس يكون هو المقصود فكيف إذا كان بينه وبين المطلوب نوع من المناسبة المرعية ؟ وكان بعض من أهل الطريق المنسوبون إلى السلطان إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - في البداية يتوجهون إلى أحد المحسوسات مثل حجر أو طوبة وغيرهما بنحو أن يثبتوا عليه عيونهم الظاهرة ولا يطرفون عيونهم في نظرهم إليه ويتوجهون إليه بجميع قواهم الظاهرية والباطنية حتى تندفع بالكلية خواطرهم وتحدث كيفية نسبة الفناء . وقال بعضهم - قدس الله أسرارهم - إن النوع العالي من التوجه هو أن الطالب المتوجه يجعل ملاحظة حضرة العزة عز شأنه سمت توجهه مجرداً من لباس الحرف والصورة والعربية والفارسية ، ولا يدع أن تزاحمه ملابسات الحوادث

من الجسم والعرض والجوهر وإذا عجز عن هذا قصوراً يجعل بناء على الحديث : (رأيت ربى نورانيا) حضرة العزة على صفة النورية غير المتناهية نصب بصيرته . وقال بعض الكبراء : إن أتم توجهات المتوجه إلى حضرة الحق وأكمل مراتب الحضور مع المطلوب المطلق هو أن يتوجه إلى حضرة الحق بعد تعطيل القوى الجزئية الظاهرة والباطنة من التصرفات المختلفة ، وإفراغ الخاطر من كل صورة علمية واعتقادية بل عن كل ما سوى المطلوب الحق - سبحانه وتعالى - بنحو أن يصير الحق معلومًا يعنى كما هو فى الواقع ، وليس مقيداً بتنزيه وتشبيه مسموع أو مظنون بل التوجه إلى المجمل المطلق الهيولانى الصفة القابل لجميع الصور والأمور التى تفيض عليه من حضرة الحق والبراء من نقش الاعتقادات المستحسنة والمستنكرة مع توجه العزيمة والجمعية والإخلاص التام والمواظبة على هذه الحال على الدوام ، أو فى أكثر الأوقات دون فترة ولا توزع خاطر ولا تشتت عزيمة مع الجزم بأن كمال الحق تعالى ذاتى ومستوعب لجميع الأوصاف سواء ظهر حسنها أو خفى. ومع الجزم بأن لا شىء عقلى قط ولا فكرى ولا وهمى يمكنه الإحاطة بسر الحق تعالى بل هو كما أخبر عن ذاته قائلاً :(كل يوم هو فى شأن) ، يظهر إذا أراد فى أى صورة من صور العالم الظاهر أو يتنزه إن أحب عن الجميع ، ولا يمكن إضافة أى صورة واسم ورسم إليه أو كانت إذا شاء جميع الأحكام والأسماء والصفات صادقة عليه ومحمولة ، ومع كل هذا فذاته غير منزهة عن كل ما لا يليق بعظمته وجلالته ولا من الصفات التى يضيفها البرهان والعيان إلى ذاته المقدسة، ولو أن أحداً لاحظ الوجود من مبدأ مراتب تجليات حضرة الحق سبحانه

وتعالى حتى منتهاها وثبت هذا المعنى على الدوام نصب بصيرته فإنه لا يرى فى الواقع غير وجود مطلق ووجود مقيد، واعتبر حقيقة الوجود واحدة فى كلا الوجودين وعد الإطلاق والتقييد من نسبها واعتباراتها، فلا شك من أن هذه الملاحظة سوف تهبه حلاوة عظيمة وذوقًا تامًا . ومن هذا القبيل ملاحظة معنى الاتحاد والاتصال فى عرف هذه الطائفة؛ فالاتحاد هو (شهود الحق الواحد المطلق الذى الكل به موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شىء موجودًا به معدومًا بنفسه لا من حيث أن له وجودًا خاصًا اتحد به فإنه محال) ، والاتصال هو (ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدى بقطع النظر عن تقييد وجوده بعينه واسقاط إضافته إليه فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن عليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجودًا به).

(وأيضًا منها)

الهاء هى غيبة الهوية يا عالمًا بالحروف

ولأنفاسك أساس على ذال الحرف

فاعلمن هذا الحرف فقد قلت فيه

كلامًا عميقًا فى الرجاء واليأس لو راعيته

يقول الشيخ أبو الجناب نجم الدين أحمد الكبرى – قدس الله سره – فى رسالته (فواتح الجمال) ذكرًا يجرى على نفوس حيوانات أنفاسهم الضرورية لأن حرف الهاء يتردد فى الشهيق والزفير ، وهو يشير إلى غيبة هوية الحق سبحانه شاءوا أو أبوا ، ونفس هذا

الحرف موجود في الاسم المبارك (الله) والألف واللام للتعريف وتشديد اللام للمبالغة في هذا التعريف ؛ إذن فيجب أن يكون الطالب الفطن في نسبة المعرفة بالحق – سبحانه – على هذا الوجه ؛ وهو أن يخلط وقت تلفظه بهذا الحرف الشريف هوية ذات الحق – سبحانه وتعالى – ويقف في خروج النفس ودخوله على ألا يقع في نسبة الحضور مع الله فتور حتى يصل إلى حد أن تكون هذه النسبة دائمة الحضور بقلبه دون تكلف في الحفاظ عليها ، ولا يستطيع بتكلف أن يبعد هذه النسبة عن قلبه ، ودوام الالتجاء والاتصال بصفة الانكسار إلى جناب الحق – سبحانه – أقوى سبب لدوام هذه النسبة ، يجب أن يطلب دائمًا من الحق – سبحانه – بقاء هذه الصفة فيه بضراعة وحاجة ولو سعى في الحفاظ على هذه النسبة عمراً أبديًا له فلن يفيها حقها – وسيظل هذا المثل (غريم لا يقضى دينه) منطبقًا عليه.

(وأيضًا منها)

ما أحسن أن يمتلىء قلبك بالنور من الذكر

وتنقهر نفسك تحت شعاعه

وتبتعد أفكار الكثرة عنك

ويصير الذاكر بكليته ذكراً والذكر مذكوراً

أعلم أن سر الذكر والترقي في مراتبه هو أن حقيقة المناسبة بين العبد والرب ، والتي احتجبت وغمرت بالأحكام الخلقية والخواص والصفات الإمكانية تغدو حية ، وهذه الحالة لا تحدث بدون قطع التعلقات

الظاهرة والباطنة وبدون تفريغ القلب من كافة الارتباطات التى حصلت بعد الإيجاد بين الإنسان وسائر الأشياء سواء كان يعلم بها أو يجهل ، إذن فعلى الطالب السالك الرجوع عما فيها بمفارقة صورة الكثرة بالتدريج بواسطة الانفراد والانقطاع حتى تنشأ فى الجملة المناسبة بينه وبين الحق تعالى ، وبعد ذلك يتوجه إلى حضرة الحق – سبحانه وتعالى – بملازمة ذكر من الأذكار ، والذكر من وجه كونى ومن وجه آخر ربانى ، لأنه من ناحية اللفظ والنطق كونى ومن ناحية المدلول ربانىٌ بل هو الرب ، إذن فذاك برزخ بين الحق والخلق وبسببه يحصل نوع آخر من أنواع المناسبة . وآثر مشايخ الطريقة – قدس الله تعالى أرواحهم – من جملة الأذكار ذكر (لا إله إلا الله) عن الحديث النبوى الوارد فيه (أفضل الذكر لا إله إلا الله) ، وصورة هذا الذكر مركب من النفى والإثبات ويمكن فى الحق طى الطريق إلى حضرة الحق سبحانه بهذه الكلمة . إن حجب السالكين ناتجة عن النسيان ، وحقيقة الحجاب هى انتقاش الصور الكونية فى القلب، وفى هذا الانتقاش نفى الحق وإثبات الغير ، وبحكم المعالجة بالأضداد؛ ففى كلمة التوحيد نفى ما سوى الحق وإثبات الحق سبحانه ، والخلاص من الشرك الخفى لا يتأتى بغير المداومة والملازمة على معنى هذه الكلمة ، إذن فعلى الذاكر وقت جريان هذه الكلمة على لسانه أن يرعى الموافقة بين القلب واللسان ، وفى ناحية النفى يطالع وجود جميع المحدثات بنظر الفناء ، وفى طرف الإثبات يشاهد الوجود القديم جل ذكره بعين البقاء حتى تستقر فى القلب بواسطة تكرار هذه الكلمة صورة التوحيد ، ويصبح الذكر الصفة

اللازمـة للقـلب ، وفـى أوقـات فـترات الـذكر اللسانى لا يتسرب فتور وقصور إلى ذكر القلب وتنمحى صورة التوحيد وهى معنى الذكر عن وجه القلب الظاهرى ، وتثبت حقيقته فى وجه القلب الباطنى وتتجوهر حقيقة الذكر فى القلب ، وتتحد حقيقة الذكر بجوهر القلب ويفنى الذاكر فى الذكر والذكر فى المذكور . ومن الكلمات القدسية والأنفاس المتبركة لحضرة الخواجة قدس الله روحه : كل ما رؤى وسمع وعلم هو غير وحجاب ويجب عدّ كلمة (لا) فى الحق نفياً ونفى الخواطر وهو الشرط الأعظم للسلوك لا يتيسر بالكمال بدون تصرف العدم فى وجود السالك؛ لأن هذا التصرف العدمى أثر ونتيجة للجذبة الإلهية ، والوقوف القلبى من أجل أن يطالع أثر تلك الجذبة ويستقر هذا الأثر فى القلب ، ورعاية العدد فى الذكر القلبى من أجل جمع الخواطر المتفرقة . وفى الذكر القلبى إذا تجاوز العدد الواحد والعشرين ولم يظهر الأثر دل هذا على عدم جدواه ، وعمل الذكر وأثره هو أن ينتفى وجود البشرية فى زمان النفى وفى زمان الإثبات يطالع أثر من آثار تصرفات الجذبة الألوهية ، والوقوف الزمانى وهو عمل السالك للطريق هو الوقوف على أحواله وما هى صفته وحالته فى كل زمان وهل يوجب الشكر أو الاعتذار . وقيل حبس النفس وقت الذكر سبب ظهور الآثار اللطيفة ويفيد شرح الصدر واطمئنان القلب وتساعد على نفى الخواطر . وتعود حبس النفس أو التنفس سبب وجود الحلاوة العظيمة فى الذكر وواسطة كثير من الفوائد الأخرى . ولم يكن حضرة الخواجة – قدس الله تعالى روحه – يرى منع التنفس لازمًا فى الذكر ومثله رعاية العدد ، لكنه كان يعد رعاية الوقوف القلبى أمراً مهمًا ولازمًا لأن خلاصة المقصود

من الذكر هى الوقوف القلبى ، ومن العبارات والاصطلاحات السلسلة للخواجات - قدس الله تعالى أرواحهم - (الذكر) ، و (التوبة) ، و (المراقبة) ، و (المشاهدة) ، والذكر هو الذكر اللسانى أو القلبى ، والتوبة هى أن الذاكر يقول فى كل مرة يذكر فيها بلسانه أو بقلبه الكلمة الطيبة فى عقبها بنفس لسانه (رب مقصودى أنت ورضاؤك) ؛ لأن هذه الكلمة توبة تنفى كل خاطر يرد بالخير أو الشر حتى يصير ذكره خالصاً ويفرغ سره عما سوى الله. والمراقبة هى مراقبة الخواطر بحيث يقول فى لحظة واحدة مراراً إن خاطره لن يخرج إلى غير الله والمقصود من كل هذه هو (المشاهدة) ، وهى الفناء والذكر الخفى على الحقيقة، والذكر اللسانى والذكر القلبى بمنزلة تعلم الأبجدية حتى تحصل ملكة القراءة ، وإذا كان المعلم حاذقاً ورأى فى الطالب الصادق استعداداً جاز له أن يجعله قارئاً فى الخطوة الأولى وأبلغه مرتبة المشاهدة بلا زحمة تعلم الأبجدية ، لكن أغلب الطلاب إذا تم إرشادهم إلى المشاهدة قبل الذكر اللسانى والذكر القلبى فهم بمنزلة من ليس له جناحان وريش ويُكلف بالتحليق والطيران.

(نظم)

نطيـــــــر بـريشنا إلى الـفـلك

لأن أصل جـــــوهرنا عـــــرشى

وتصير للزهرة الحوادث الطبعية حين تدور حول جيشنا

وتنبت فى ذرات الهواء روح من أنفاس عشقنا المربى للروح

وكتب المخدوم قدوة العرفاء الكاملين وأسوة الكبراء العارفين المتوجه إلى الله بالكلية والداعى إليه بالأنوار الجلية.

(نظم)

قطب الكبراء الذى كان مرشداً للحق

والمطلق من قيد كل ما خالف الحق

طوى سائر وادى التفرقة

واستغرق فى لجة بحر الجمع

مولانا ومخدومنا سعد الملة والدين الكاشغرى قدس الله تعالى سره بالتماس بعض من أجلّة الأصحاب وأعزة الأحباب كلمة يسيرة فى بيان كيفية اشتغال هؤلاء الأعزاء بالذكر والتوجه ، وأورد الآن تلك الكلمة بنفس عبارته الشريفة على سبيل التيمن والاسترشاد حتى تتم هذه الرسالة بهذه الكلمات القدسية ، وتختم بتلك الأنفاس المتبركة مسك الختام وهى هذه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، مبنى طريقة انشغال هؤلاء الأعزاء هو قولهم : الوعى فى النفس والخلوة فى الجمع ، ومعنى الوعى فى النفس أن فى كل نفس يتردد يجب أن يكون الطالب حاضراً فى سره لا تتسرب إليه الغفلة ، وطريق الانشغال بها هى أن يقول بالتمام هذه الكلمة الطيبة (لا إله الله محمد رسول الله) ، وكيفية نطقها بأن يلتصق اللسان بالحلق ويحتفظ بالنفس داخل بقدر ما يستطاع ، ويتوجه إلى القلب الصنوبرى لأن الذكر يقال من القلب لا من المعدة

ويهتم بهذا التوجه ويلاحظ فى عقب كل ذكر هذا المعنى وهو : (رب مقصودى أنت ورضاؤك) ملاحظة تامة والمحافظة على هذا الانشغال فى جميع الأحوال فى الذهاب والإياب والطعام والوضوء ، وأمر آخر يزيده البعض : وهو أنهم يعتبرون رأس لام (لا) من رأس السرة ، وكرسى (لا) على الثدى الأيمن ، ورأس ألف (لا) على رأس القلب الصنوبرى، و (إله) متصلة بكرسى (لا) الواقع على الثدى الأيمن ، و (لا إله الله ومحمد رسول الله) متصلة بالقلب ، ويرعون هذه الشكل بهذه الكيفية وينشغلون بالذكر بالطريقة المذكورة وهذه هى طريقة ذكرهم والله أعلم ، وطريقة توجههم هى استحضار قلوبهم بالجناب المقدس تعالى وتقدس مجرداً من لباس الحرف والصوت والعربية والفارسية وبراءً من جميع الجهات وعدم إقصاء قلوبهم عن محلها وهو القلب الصنوبرى لأن المقصود المجرد من الجهات سبحانه موجود فى ذاك الموضع لقوله تعالى فى كلامه المجيد (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)

(مثنوى)

يا من هيأت القوس والسهام

الصيد قريب وأنت رميت بعيداً

يزيد المقصود بعداً كلما زدت بعداً فى رميك

ويكون أكثر هجراناً بمثل هذا الصيد

لكن بسبب الضعف فى البصيرة لا يتيسر إدراك هذا المعنى الكامل لكن هذا المعنى يلقى بشعاعه بالتدريج حتى يتراءى له أنه لا يغدو غير هذا المعنى باقيًا فى نظر البصيرة ، ومهما أراد التعبير عن نفسه لا يستطيع كأنه إنسان غاص فى البحر حتى رقبته ولا ترى عينه غير البحر ويتهيأ له بالتدريج أن الموجودات يراها لكنه كذاك الشبح الضعيف الذى يُرى من مسافة بعيدة ، لا يستطيع أن يشغل باطن ذاك الرائى بالوجه التام ، لكن لو حدث تغير فى هذا التوجه المذكور فإنه يحيى هذا المعنى بهذا الاسم المقدس وهو اسم الذات فى قلبه ويراقب هذا المعنى كمن وقع نظره على شىء ، ويركز بصره فيه وتشغله الرؤية عن التعقل فيه والله أعلم بالصواب . وأثبت الحضرة المخدوم قدس الله روحه بذيل هذه الكلمة القدسية هذا المثنوى الذى يوافق حالى أنا الحقير ويطابق مقالى:

الوضيع يسرق كلام الدراويش

لكى يقرأ تلك الرقية على سليم الصدر

فإن كان أمر الرجال هو الوضوح والغيرة فإن أمر الوضعاء هو التحايل وعدم الحياء

(رباعية فى الخاتمة)

جامى الذى ليس رجل الخانقاة أو الدير

لا يخبر الوقوف ولا يعلم السير

فافتح بالخير رب واختم بالخير

فأنت فاتحته كما أنت خاتمته جميعًا

(لوامع شرح القصيدة الخمرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) رب أنعمت فزد

سبحانه من جميل ليس لوجهه نقاب إلا النور

ولا لجـــمـــاله حـــجـــاب إلا الـظهـــور

(رباعية)

يا مـن خـــفـــيت من غـــاية ظـهـــورك

وأنت عين كـافـة العـالم من كـثـرة وحـدتك

أنت أعـظم مـن أن تسـعك العـبـارة

وأنت أقـدس مـن أن تحـيطك الإشـارة

إلهى بحرمة أولئك الذين خطوا بخطوات الهمة إلى سرادقات عزة وحدتك ، ولم يظهر فى سيرهم خطو ولا سير ، وشربوا من كأس وحدة خمر عشقك ومحبتك ، ولم يلح فى حفلهم كأس ولا خمر أن تتحفنا من طريق أولئك المنعمين بغبرةٍ على فرق ذلتنا نحن القابعين على التراب ، وإن تبلغنا من محفل أولئك المفلحين أو شاب شربة إلى حلق رغبتنا نحن الفاشلين فى الأسباب.

(رباعية)

يا رب هبنى من مرام حبك شربة

وامنحنى من قدح دولتك قربة

لم تنته رغبتى فيك بغير العجز البواح

فهبنى يا غاية الأمانى بعض الفلاح

إلهى بعزة أولئك الذين كان لهم قدم صدق وكانوا من أولى العزم فى طريق متابعة حبيبك ، ورفعوا راية الكرامة من حضيض الوجود والبقاء إلى أوج الغيبة والفناء أن تجعل قدم همتنا نحن الواهنين فى التقدم محتظيةً بالرسوخ على جادة شريعته وسجادة طريقته ، وأن ترفع علم دولتنا نحن السافلين فى الاشتهار باقتفاء آثاره واقتباس أنواره.

(رباعية)

رب أدخلنى حرمَ فنائك

علّ أمرى يحسن من فنائك

وفى طريق الفناء ضع رأسى

على قدم أحمد المختار بلا جبر ولا اختيار

صلى الله وسلم على حبيبه محمد وآله مجالى أنوار جماله ومرائى أسرار كماله ، أما بعد، فهذه ورقات عدة فى شرح ألفاظ وعبارات

وكشف ونور وإشارات فى القصيدة الميمية الخمرية الفارضية قدس الله سر ناظمها ، وهى فى وصف راح المحبة أشرف مطلوب انتظمت بألطف أسلوب وشاعت بين أرباب العرفان وأصحاب الذوق والوجدان شيوعًا كاملاً واشتهرت اشتهاراً تاماً .

(رباعية)

من هذا النظم وهو بحر در للعشق
امتلأت الآفاق بأصداء أسطورة العشق
كل بيته منه بيت وكل حرف فيه
ظرف ممتلىء براح حانة العشق

وبما أن الشروع فى هذا المقصود كان متعذراً بدون التعرض إلى تعريف وتقسيم للمحبة وبيان أهلها وفروعها فقد ذكرنا طرفًا من كلمات هذه الطائفة المتعلقة بهذه الأمور وسطرنا وصدرنا كل فقرة مستقلة من تلك الكلمات الجامعة بكلمة (لامعة) تنبيهًا على أنها من لوامع أنوار الكشف والشهود على قلوب أرباب الذوق والوجود ، ومن الله التوفيق للسداد ومنه المبدأ وإليه المعاد.

(رباعية)

يا رب أبلغ قلبى بشرى إكرامك
واوصل كفى نقداً من كنز إنعامك

أســست فى ساحـة أملى هذا القـصر للمـراد

فــــــأبـلـغـــــــــــه الإتـــــمـــــام

(لامعة) : حضرة ذى الجلال والإفضال كان فى أزل الآزال حيث كان الله ولم يكن معه شىء

(فـرد)

حـين لـم يـكـن لوح بـعــــــــد ولا قـلـم

وكـــان أعـيــان الأشـــيـاء فى كــتم العــدم

كان يعرف نفسه بنفسه ويرى جمال ذاتيته وكمالها بذاته ، وكان يعلم بنفس هذا العلم ، ويرى بنفس هذه الرؤية سائر تنوعات الشئون والصفات التى اندرجت واندمجت فى غيب هوية الذات بلا شائبة افتقار إلى ظهور الغير والغيرية ، وكان صوت اســتغـنـاء (إن الله لغنى عن العالمين) يرن فى آذان القابعين فى بلاد ظلمة العدم المظلمة ويقول :

(رباعية)

أنا الذى فى ملك البـقـاء منفرد بـالاستـغناء

لا يســـــالمنى غـــيــــرى أو يعـــــاركـنى

أنا العــاشـق وأنا المعــشـــوق وأنا الـعــشق

لم يـلحـــقـنى من الأغـــيـــار غـــبـــرة

لكنه كان يشاهد فى ضمن ذاك الكمال الذاتى الكمال الأسمائى الآخر الذى كان موقوفًا على اعتبار الغير والسوى ولو بنسبة واعتبار ما والمسمى فى متعارف هذه الطائفة (بكمال الجلاء والاستجلاء) وكمال الجلاء يعنى ظهوره فى المراتب الكونية والمجالى الخلقية بحسب تلك الشئون والاعتبارات متمايزة الأحكام متخالفة الآثار روحًا ومثالاً وحسًا ، وكمال الاستجلاء يعنى شهوده لذاته فى نفس هذه المراتب بحيث كان يرى ذاته فى ذاته بذاته فى مقام جمع الأحدية كما يرى ذاته بغير ذاته أو بذاته فى غير ذاته أو بغير ذاته فى الغير فى مراتب التفصيل والكثرة .

(رباعية)

عشقك أظهر وجه الطيب والشرير .. وخلب صورة القبول والرد

وهو فى تجل يريد أن يرى ذاته فى كل الشئون و (كل يوم هو فى شأن)

(لامعة) : ثم انبعثت بعد هذا الشعور حركة وميل وطلب إلى الكمال الأسمائى لتحققه وظهوره . وهذا الميل والطلب والإرادة منبع كل عشق وخميرة كل محبة وكل عشق ومحبة ومودة وميل هى صور تعينات ومراتب تقيدات له كما أن كل حسن وجمال وفضل وكمال فرع كماله تعالى ونور جماله تعالى كبرياؤه وتعد ست أسماؤه .

(رباعية)

يا من أتى على قدك الحسن بلا نقص وزيادة .. وانضبط على قامتنا لباس العشق منك

كما أن جمال الجميع عكس وجهك .. فعشق الجميع انبعث منك من اليوم الأول

(رباعية)

تتجلى بشكل الحسان .. وتنظر اليهن بعيون العاشقين

فمنك تجلى الحسن ومنك جذبة العشق .. وحيُّك برئ من غبار الغير

وهذه المحبة فى مقام الأحدية كسائر صفات عين الذات متفردة وكالذات المتفردة فى صفتها بلا صفة وأمارتها بلا أمارة عجزت دلالة العلم والعقل عن التعبير عن بيان ماهيتها وعدم النوق والمعرفة إمكان الإشارة إلى وحدان حقيقتها وخلت ساحة قدس جلالها من غبار سياحة الوهم والحواس وتعالت شرفة أجرح كمالها عن أحبولة إحاطة الفكر والقياس .

(رباعية)

كان العشق حرفتنا من بداية الأزل : فلا كان أسد غير العشق فى عريننا

وما أكثر الرجال الذين حاروا فى فكر عشقنا .. وحاشاهم أن يصلوا حوالى فكرنا

لكن فى مرتبة الواحدية وهى مقام التحايز بين الصفات ومحل التغاير بين الصفات والذات فهى تميز بين الذات وسائر الصفات وسبيل معرفتها على أرباب العلم والبصيرة مفتوح . لكنها سر خفى وأمر ذوقى ووجدانى لا يُعْرف مالم يُذَق وإذا عرف ما استطاعوا بيانه فالإعراب عنه لغير واجده ستر والإظهار لغير ذائقة إخفاء .

(رباعية)

كل من شم رائحة من خمر العشق .. جَرّ رحله من رَبْع العقل إلى الحانة

ومن لم يذق منها مذاقاً : ما وصل فهمه قط إلى سرها

(رباعية)

قلت لشيخ المجوس البارحة من كثرة حيرتى : اتشف لى رمزاً من رموز الخمر

فقال إنها حقيقة وجدانية

لن تعلمها يا عزيزى ما لم تذقها

(لامعة) : ومع أن المحبة شربة لا تعلم ما لم تذق ومحبة لا يمكن إدراكها ما لم تجرب فإن جماعة مأنوس طبيعتهم ومألوف جبلتهم تعريف الماهيات وتوضيح المخفيات نظمت جوهر التحقيق بألماس التفكر ، وقالوا فى كشف حقيقتها وبيان أقسامها : إن المحبة ميل الجميل الحقيقى عز

شأنه لجماله جمعًا وتفصيلاً ، وهذا الميل إما أنه من مقام الجمع إلى الجمع وهو شهود جمال الذات في مرآة الذات بلا توسط الكائنات

(رباعية)

المعشوق الذي لم يعرف أحد سر جماله

رفع في ملك الأزل لواء الحسن

لم يكن بعد طاس الفلك ولا زهر الشمس

بل كان نفسه يلاعب نفسه بنَرْدِ المحبة

وإما أنه من مقام الجمع إلى التفصيل بحيث إن هذه الذات الأحدية تشاهد لمعات جمالها في مظاهر لا حد لها ولا حصر وتطالع فيها صفات كمالها .

(رباعية)

الحبيب الذي يتنفس أنفاس العشق مع كل إنسان

لا يصل جنون إنسان إلى ذيله

فهو مرآة الوجود وذرات الوجود

تعشق صورته وكفى

وإما من التفصيل إلى التفصيل بحيث يرى أكثر الأفراد الإنسانية عكس الجمال المطلق في مرايا تفاصيل الآثار ويعدون الجمال المقيد الذاتي هو المقصود الكلي ويرضون بلذة الوصال ويألمون بمحنة الفراق .

(رباعية)

يا مـن حـــسنك ســـتـــر المجـــالى

وأوجـد مـئـات العـاشـقين أو المعــشـوقين

علـى ريحك اســـتلبت لـيلى قـلب المجنون

ومن شـــوقـك تألم (وامق) بـألم (عـــذرا)

وإما من التفصيل إلى الجمع بحيث أن بعضاً من الخواص أخرجوا رحل الفكرة من معمل الأفعال والآثار وخرقوا الحجب والأستار التى للشئون والصفات وهى مبادىء الأفعـال والآثـار ، ولم يعد غير ذات المتعالى الصفات الرفيع الدرجات متعلق هممهم وقبلة توجهاتهم .

(رباعية)

أنـا الذى بـلا بديـل فـى ملـك العـــشـق

فى مـــدينـة الوفـــاء ملثم بـالقـــدســيـــة

وتطـهـــــر من الـلوث علـمى وعـــمـلى

واتجــــهـت الأنظـار إلى قـــبـلة أزلـى

(رباعية)

خـــارج عن حــــدود الـكائـنات قـلبـى

وأعلـى من إحـــاطـة الجــهـــات قلـبى

فـــارغ من تقـــابل الـصـــفـــات قلـبى

ومـــــــرآة تجليـــــــات الـذات قلـبـى

(لامعة) : بما أن ذا الجمال والجلال بحكم (إن الله جميل يحب الجمال) مجثه الجمال والكمال صفته الذاتية والآدمى بموجب (خلق الله تعالى آدم على صورته) خلقه الله على صورته وكساه خلعة صفاته، إذن فالبضرورة يكون ميل خاطره إلى الحسن والجمال مسلكه الأصلى وانجذاب باطنه إلى الفضل والكمال سيرته الجبلية فيتعلق قلبه ويرتـبط جنانه بما يظهر من جمال إلى نظر شهوده فى كل مرتبة من مراتب الوجود.

(رباعية)

أتعـلق بكل جـــمـــيل طلعـــة فـى هوسٍ

وأتشـبث بـرأس كل مـسكى الضـفـيـرة

والخـــلاصـــة كل من أجـــد فـــيـــه لـونًا

رائحـــة من حـــسنك أتعـلق به فى الحـــال

ولا شك من أن تفـوت درجـات المحـبين يمكن أن يكون على قـدر تفاوت طبقات المحبوبين ، فكلما زاد أساس حسن المحبوب وبهجته علواً علت همة المحب الطالب، وأعلى درجـات ذاك الحب هى محـبة الـذات التى تحلق فى باطن المحب الطالب ميلاً وتعـلقًا وانجـذابًا وتعـشقًا إلى المحبوب الحق والمطلوب المطلق فتستلبه من ذاته بحيث لا يعود له

وسعة وقدرة لدفعــها ورفعها فلا يستطيع تعيين سبب ولا يود تمييز طلب فـلا يدرى كيف وسبب وجوده انجذاب فى ذاته ، ولا يعلم من أين حدث له وإلام ينتهى به.

(رباعية)

أيهـا الولد الجمـيل القاسى القلب البضّ الـصدر

وقع لـى أمـــــر عـــجــــيب مـــعك

أنت مــحــبـوبـى لكن لا أدرى بأى ســبب

وأنت مـــعــشــوقى لـكن لا أعلم بـأى علة

وعلامة صحـة هذا هى أن الـصفـات المتـقابلة للمـحبـوب كالوعد ، والوعـيـد ، والتـقـريب ، والتـبـعـيـد ، والإعـزاز ، والإذلال ، والـهـداية ، والإضـلال تسـتوى على المحب وتجرع مرارة آثار نعوت القهـر والجلال يسهل عليه كتذوق حلاوات أحكام صفات اللطف والجمال.

(رباعية)

الحسن فـيك والشكل والشمائل كلها جـميلة

وروحى وعقلى وقلبى بعشقك جميعًا سعداء

ويتـــــوى أن تتـلطف بـى أو تقــــســـــو

فكل الصـفـات المتـعـاكـسة فـيك جـميلة

(رباعية)

إن وهبتني النور فأنت عيني الباكية

وإن وسمتني بالكي فأنت صدري المحترق

قد وطأت رأس العالم من أجلك

فعد إليّ فأنت برمتي روحي

(لامعة) : المحبة ثمرة المناسبة بين المتحابين وحكم غلبة ما به الاتحاد على ما به الامتياز ، إذن فلا مناص للمحبة الذاتية من المناسبة الذاتية ، والمناسبة الذاتية بين الحق والعبد يمكن أن تكون على وجهين ؛ (الأول) : أن تضعف عين العبد بسبب المرآتية وحيثية المظهرية عن التجلي الوجودي وينتفي عنه أكثر أحكام الإمكان وخواص وسائط سلسلة الترتيب ، ولا يمكن لتعين ذاك التجلي بسبب تقيد العبد وتعينه أن يؤثر في قدسه الذاتي ، ولا يغير طهارته الأصلية ، وتفاوت درجات المقربين للمحبوب والأقربين للمجذوب يمكن أن يكون باعتبار التفاوت في كمال هذا الوجه أو نقصانه.

(رباعية)

رأيت شيخًا تحت هذا الفلك الأزرق

لم يكن غيره يماثله في وجوده طهراً

كان مرآة ظهر فيها عكس شمس

الوجود الباقي بصورته الأصلية

والوجه الآخر للمناسبة: ما يكون بحسب حظ العبد من جمعية المرتبة الإلهية أى باعتبار التخلق بالأخلاق الإلهية والتحقق بالأوصاف غير المتناهية ، وهو يتفاوت بحسب تفاوت الجمعية ؛ فكل من زادت سعة دائرة جمعيته اتسعت قدمه فى استيفاء هذا الحظ ، ومن جمع بين هذين الوجهين من المناسبة فهو محبوب الحق وله الكمال المطلق وحقيقة مرآة الذات والألوهية معًا وأحكامها ولوازمها جميعًا ، بل إنه برزخ جامع بين مرتبتى الوجوب والإمكان ومرآة واقعة بين عالمى القدم والحدثان ، فهو من ناحية مظهر الأسرار اللاهوتيه ، ومن ناحية أخرى مجمع الأحكام والآثار الناسوتية ، وعلى الدوام لسان مرتبته بهذه المقالة متكلم وفم جمعيته بهذا اللحن قد مترنم وهو :

(رباعية)

نحن على أوج كمال الصبح الصادق

على حل النكات وكشف الدقائق

لا يخرج عن قلبنا سر الحق والخلق

فنحن مجموعة مجموع الحقائق

(لامعة) : وما يتلو المحبة الذاتية هو محبة الحق سبحانه وتعالى بسبب الأمور التى تختص بحضرته اختصاصًا كليًا وترتبط به ارتباطًا تامًا كالمعرفة والشهود والقرب والوصول إليه ، وهذه النسبة أدنى من المرتبة الأولى ومعلولة لها ؛ فإن للمحب فى المرتبة الأولى وقوفًا مع الحق

سبحانه ؛ وفى هذه المرتبة وقوفًا مع حظه منه ؛ وشتان بين الوقوف معه وبين الوقوف مع الحظ منه.

(رباعية)

المعشوق الذى كان عائقًا لى عن الرغائب

قال لى بالأمس إنك لا تليق بعشقى

أجل إن رغبتك منى وهى الوجود وصل

لكنك تعشق رغبتك منى ولا تعشقنى

لكن هذه المرتبة رفيعة وعالية بالنسبة للمرتبة تاليتها ، وهى محبة الحق سبحانه بسبب الأمور التى ليس لها الاختصاص والارتباط المذكوران كالفوز بالمرادات العاجلة من المطعومات والمشروبات والملبوسات والمركوبات أو كالظفر بالسعادات الآجلة من الحور والقصور والغلمان والولدان ؛ لأنه إذا كان الفرق كبيراً بين الوقوف مع الحق سبحانه والوقوف مع الحظ منه فكذا الفرق بلا حد بين الوقوف مع الحظ منه والوقوف مع الحظ من آلائه ونعمائه ؛ لأن لصاحب هذه المرتبة الراحات الدنيوية واللذات الأخروية مطلوب بالأصالة ومقصود بالحقيقة وجعل الحق - سبحانه وتعالى - وسيلة للحصول عليها وعده واسطة الوصول إليها ، وأى شيء يزيد هذا فحشًا وهو جعل المطلوب الأصلى تابعًا للمطالب العارضة ، وعدِّ المقصود الحقيقى طفيلاً على المقاصد المجازية .

(رباعية)

أنا المتــــصف بـالوفـــــاء والجــمــــال

ولا يســــــاوى الكـونان شـــــعـــــرة منى

ألا تــســـتـــــــحى من أنـك تحــــبنـى

مع كل حسنى وجمالى حبًا تابعًا لحب غيرى ؟!

(رباعية)

أنا شــــحنة مـــدينة الجــمــــال العظيم

ومـــــقــــدس عن شـــــركـــــة هذا وذاك

وحســـان العـالـم طفـيلـيـون على مــائدتى

هيــهــات أن أكــون طفــيلـيًــا على أحــد

(لامعة): ما عدا المرتبة الأولى وهى المحبة الذاتية فيمكن أن تكون المحبـة من قبيل المحبة الاسمائية والصفاتيـة أو الأفعاليـة والآثارية ، والمحبة الاسمائية والصفاتية هى أن يؤثر ويختار المحب بعضًا من أسماء المحبوب وصفاته مثل الإفضال والإنعام والإعزاز والإكرام على أضداده بلا ملاحظة من وصول آثارها إليه ، ومحبة الأفعال والآثار هى ذاك الاختيار والإيثار بناء على وصول أحكامها وآثارها إليه ، وهذه المحبة للباقى فى صدد الزوال ومعرض التغير والانتقال ؛ فحينما يتجلى المحبوب بصفاته الحميدة وأفعاله المرضية التى تتعلق بمحبة المحب يقبل

عليه بكل قصده وهمته ويتعلق به ؛ وإذا تجلى بمقابلات هذه الصفات والأفعال التى لا تلائم هواه وتوافق رضاه يعرض عنه بكافة حوله وقوته ويتجنبه قال فى ذلك الله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة).

(رباعية)

حين يوفى الحبيب لك تتعلق به

وحين يستل سيف الجفاء لك تهرب منه

لماذا تهدر كرامة العاشقين

ليتك فارقت رَبْعَ العشق

(لامعة) : أدنى مراتب المحبة الآثارية وما يتعلق بها من جمال الآثار الذى يعبر عنه بالحس ويفسر بالروح المنفوخة فى قالب التناسب ، وفى الحقيقة هى ظهور سر الوحدة فى صورة الكثرة ، وهى إما أن تكون معنوية روحانية كالتناسب وعدالة أخلاق الكاملين المكملين وأوصافهم التى تتعلق بإرادة الطالبين ومحبة المريدين ويفتدون بإرادتهم واختيارهم إرادة هؤلاء واختيارهم ، أو تكون صورية غير روحانية كتناسب الأعضاء والأجزاء لبعض من الصور العنصرية الإنسانية الموصوفة بصفة الحسن والملاحة ، ومشاهدو صفة الجمال فى الصورة العنصرية الإنسانية على أربع طبقات ؛ (الطبقة الأولى) : الأصفياء القلوب الذين اتصفت نفوسهم الطيبة من شوب الشهوة وتبرأت قلوبهم

الطاهرة من لوث الطبيعة فلا يشاهدون فى المظاهر الخلقية غير وجـه الحـق ولا يطالعون في المرايا الكونية سوى الجمال المطلق ولا يتقيدون فى العشق بالأشكال الجميلة والصور البهيجة ؛ بل إن أى صورة موجودة فى كل العالم لها معهم نفس شاكلة تلك الأشكال والصور الجميلة.

(رباعية)

أرى القـمـر فـيـذكـرنى بوجـهك

وأشم الورد فـيـذكـرنى بنشـرك

وحين تنشر الرياح ضفائر البنفسج

يذكرنى هذا المشهد بانتشار شعرك

(رباعية)

تخلص من وجود الخلق العارف الحق

وفى بحر شهود الحق مستَغْرِقْ

وحجب الحسن المقيد عنه قد شق

فحار فى نور الجمال المطلق

(الطبقة الثانية) : الأطهار الذين صفت نفوسهم بعناية من لا علة له أو بواسطة المجاهدات والرياضات من أحكام الكثرة وانحراف الطبيعة وظلمتها وكدورتها ، فإذا لم تزل أحكامها بالكلية لم يتيسر إدراكهم المعانى المجردة بلا مظهر يناسب حالهم ونشأتهم ، فلا جرم من أن

تشتعل نار العشق واحتراق الشوق فى طبعهم بسبب الحسن الصورى من حيث المظهر الإنسانى الذى هو أتم المظاهر وتحترق بقايا أحكام ما به الامتياز، ويقوى حكم ما به الاتحاد ؛ فينقطع ذاك التعلق والميل الحبى من ذاك المظهر ويتجرد سر الجمال المطلق من صور الحسن المقيد ، وينفتح عليهم باب من أبواب المشاهدة ، ويكتسب العشق المجازى العرضى لون المحبة الأصلية الحقيقية.

(رباعية)

ما أكثر من رأوا جمال الحسان

سقطوا من كى العشق فى احتراق وانصهار

ثم صاروا فى مجلس أهل الذوق محارم الأسرار

وشربوا خمر الحقيقة من الكأس المجازية

(الطبقة الثالثة) : المأسورون الذين هم فى صدد عدم الترقى بل فى معرض الاحتجاب ، والذى منه استعاذ بعض الكبار بقولهم: (نعوذ بالله من التنكر بعد التعرف ومن الحجاب بعد التجلى) ، ولا يتجاوز تعلق تلك الحركة الحبية بالنسبة إليهم الصورة الظاهرة الحسية الموصوفة بصفة الحسن مع أن الشهود والكشف المقيد حدث إليهم ، وإذا انقطع ذاك التعلق والميل الحبى عن صورة ارتبط بصورة أخرى محلاة بالحسن وظلوا على الدوام فى هذا الصراع ، وهذا التعلق والميل

للصـورة هو فتح باب الحـجز والحرمـان والفتنة والخذلان وآفــة الديــن والدنيــا (أعاذنا الله وسائر الصادقين من شر ذلك)

(رباعية)

إنما العـــاجــز من تعـلق قلبــه بـالحــســان

ولم ينـقـصـم عن مــحــبـة الجــمـيــلات

رأى مـعنى الروح فى الصـورة الـكلية وخـار

إن قــدم قـلبـه حـتى القــيـامـة فـى الطين

(رباعية)

أيهــا الســيــد أقلع عن حـــسن الأرضــيين

واقـــصـــد الجــمـــال الأقــدس الأعـلى

إلى مــتـى ترى القــمـــر فى مــاء البــئــر

إن القمـر أنار بأوج الفلك فارفـع رأسك إليه

(الطبقة الرابعة) : وهـم الملوثون الذين لم تمت فيهم النفس الأمارة ولم تبرد فيهم نار الشهوة ، وسقطوا فى أسفل السافلين فى الطبيعة ، وحطوا رحالهم فى سجن سجين البهيمية ، وانتفى عنهم وصف العشق والمحبة ، واختفى فيهم نعت الرقة واللطافة ، ونسوا بالكلية مـحبوبهم

الحقيقى ، واحتضنوا محبوبهم المجازى ، وأخلدوا إلى رغبة الطبع وسموا هوى النفس عشقا هيهات ، هيهات.

(رباعية)

أيـــن هـؤلاء ومـــن الـعـــــــــــــــشـــق

أنّى لـلهندى أن يعـــرف الـعـــربيـــة ؟

إذا تحــدث أهل الحــقــيـقــة عـن العــشق

فلـمــاذا عــبـث هؤلاء القـــوم المجـــازى

(رباعية)

القـــوم الذين هم ناقـــصـــون فى العـــشق

يســـمـــون هوى النـفس عـــشـــقًـــا

كـيف يليق بهم مقـام فى حرم العـشق

إن وصف العـــشق عليـــهم حـــرام

(رباعية)

إذا لم يكـن العــشق هـو كـمـــال أولاد آدم

مـــا ذاع صـــيت الـعـــشق فـى العـــالم

ولو كـــانت شـهـــوة النفـس عـشـــقًـــا

فـإن الحمير والبقر هـم أئمة عـشاق العـالم

(لامعة) : أدنى مراتب المحبة الآثارية محبة الشهوة وهى بالنسبة للمحجوب الذى لم يتخلص بعد من رق النفس وقيد الطبع، ولم يشع على على ساحة ذوقه وإدراكه نور الكشف والمشاهدة فلا يرى غير مراد النفس مقصوداً ولا يدرى مطلوباً ، كل ما يعطيه يعطيه بحكم النفس ، وكل ما يأخذه يأخذه بحكم النفس ، لكنها بالنسبة لأهل الله وهم أرباب الكشف والشهود فهى من قبيل تجليات الاسم العظيم (الظاهر): بل إن صاحب فصوص الحكم - رضى الله عنه - عدها أعظم الشهودات وما ذمه العلماء والعرفاء وعدوه من مراتب البهيمية هو ما ينتسب إلى أهل الحجاب ، ألا ترى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وقرة عينى فى الصلاة) ، مع إنه أكمل الورى وأنزل فى شأنه (ما زاغ البصر وما طغى) ، وشرح هذا الحديث وسر هذه المحبة مذكور فى الحكمة الفردية من الفصوص فمن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه، والمقصود هنا هو التنبيه على أن ما يجرى على أهل الله هو صورة الشهوة والطبيعة لا حقيقتهما حتى لا يقيس المحجوبون حال هذه الطائفة على أنفسهم ويلقوا بأنفسهم فى ورطة الادبار والإنكار.

(رباعية)

لا يحسن أن نقيس الأطهار الكرماء

بالأخساء اللئام فى شهوتهم وشرههم

فـرق عـظيم بين الـنار المضـيـئـة للروح

التى رآهـا الكليـم والنار المشـتـعلـة بالدار

(رباعية)

أحكـام الطـبـيـعـة المخـتـلـفـة

نحـس لإنسـان ومـيـمـونـة لآخـر

هل سـمـعت فـى الروايات كـيـف أن النيل

كان ماءً على أتباع موسى ودمًا على أتباع فرعون؟

(لامـعـة) : أسبـاب المحبة خمسة ؛ (الأول) : محبة النفس ووجودها وبقائها ، فمعلوم بالضرورة أن كل إنسان يطلب بقاء وجوده وهمته جميعا فى جذب النفع ودفع الضرّ لإبقاء وجوده وبما أن حب وجوده الإنسان وبقائه ضرورى لديه فمحبة الموجد والمبقى أكثر ضرورة بطريق أولى ، عجب من ذاك الذى يتحاشى الحرارة ويحب ظل الشجرة ولا يحب الشجرة التى قوام الظل بها إلا أن ذاك الشخص لا يعرف نفسه ، ولا شك فى أن الجاهل لا يحب الحق سبحانه وتعالى ؛ لأن محبته هى ثمرة معرفته.

(رباعية)

إلى مـتـى تتـوحـد بهـوى نـفـسك

وتميـل عن الحق لبـقـاء نفـسك ؟

يا من تـظللت بأسـفل الشـجـرة بظـلهـا

سـهـل أن تغـفل عـن وجـود الشـجـرة

(الثانى) : محبة المحسن والمنعم، فلا يخفى أن حضرة الحق سبحانه هو خالق المنعم والمنعم به (بفتح العين فى كل) كما أنه الباعث للمنعم على الإنعام ؛ لأن الحق سبحانه يلقى فى روع المنعم أن سعادته وخيريته فى ايصال المنعم به إلى المنعم عليه ويلجئه إلى ذلك حتى يستطيع إبلاغه إذن فحضرة الحق سبحانه أولى بالمحبة من كل منعم ومحسن .

(رباعية)

انظر النعمة مَنْ ينعم بها

واشكر من يستحق الشكر عليها

اعلم أن الإنعام هو من الله لأنه فى ملك الوجود هو العاطى وهو العطية ومنه العطاء

(الثالث) : محبة صاحب الكمال ، فإذا اتصف أحد بصفة من صفات الكمال كالعلم والسخاء والتقوى وغيرها فإن صفة الكمال هذى توجب المحبة، والحضرة التى هى منبع جميع الكمالات، ومنها جميع مكارم الأخلاق ومحامد الأوصاف رشحة من فيض كمالها بالمحبة أولى

(رباعية)

كل معشوق يضرب بقوس الجمال

يفتتن به مئاتٌ من الكبار والصغار

فيا من أنت جميع الحسان بل أجمل من الجميع

إذا لم أتعشقك فخذ حقك منى بنفسك

(الرابع) : محبة الجميل ، فمع أن حقيقة الجمال عارية ليست أكثر من عكس وخيال فى الحقيقة ينعكس من خلق حجاب الماء والطين وستار اللحم والجلد ، ومع هذا يتغير بحدوث أقل عارض وهو فى ذاته محبوب ، لكن الجميل على الإطلاق الذى جمال جميع الممكنات قبس من أنوار جماله ولا يتقيد ظهوره بمظهر وصورة هو الأولى بالمحبة.

(رباعية)

حينًا تكون مجلى لعارض وردى

حينًا تكون ضحكًا للؤلؤ مكنون

وأنت بمثل هذا اللطف والجمال فى سترك

فكيف تكون لحظة أن ينكشف سترك ؟

(الخامس) : المحبة التى هى نتيجة التعارف الروحانى وهذا التعارف مترتب على المناسبة الروحانية بين المتحابين ، وهذه المناسبة متفرعة على الاشتراك فى المزاج بمعنى أنه وقع مزاجها فى درجة واحدة من درجات الاعتدال أو أن درجة مزاج أحدهما قريبة إلى درجة مزاج الآخر ؛ إذ إن موجب تفاوت درجات الأرواح فى شرفها وعلوها بعد قضاء الله وقدره تفاوت درجات الأمزجة فالأقرب نسبة إلى الاعتدال الحقيقى يستلزم قبول الروح الأشرف والأعلى ، الأبعد بالعكس فى

الخسة ونزول الدرجة ؛ فلا جرم أنه إذا تساوى مزاجان فى الدرجة أو كانت درجة أحدهما قريبة إلى درجة الثانى فإن مرتبة الروح الفائضة على واحد من هذين المزاجين تكون فى الشرف والعلو بعينها مرتبة ذاك الثانى أو قريبة إليها ، ويقع التعارف بينهما بسبب هذا الاتحاد أو القرب فى المرتبة ويوجبان الائتلاف والمحبة بينهما؛ إذن فكما أن التفاوت الروحانى المترتب على كافة هذه الأسباب يسبب المحبة فإن حضرة مسبب الأسباب الذى قدر هذه الأسباب بلا أدنى علة واستحقاق أولى - بلا شك - بالمحبة.

(رباعية)

يا من ذاعت بالعشق قصتي وقصتك

وتوحدت روحي وروحك في الحب والوفاء

إنني عبد لذلك الأحد الذى انبعثت

من عهد الأزل منه التوحد بيني وبينك

(لامعة) : للعشق والمحبة مشابهة تامة بالخمر الصورى فلا جرم أن تستعار لهما الألفاظ والعبارات المستخدمة للخمر فى العربية أو الفارسية فيعبر مثلاً عن العشق والمحبة بالراح والمدام والخمر ، ولهذه المشابهة أوجه متعددة ووجوه مختلفة ، منها أن الخمر كما أن لها ميلاً إلى جانب الظهور والإعلان بلا محرك خارجي بسبب قوة جيشانها وشدة غليانها وهي فى مقامها الأصلى ومستقرها الأولى وهو جوف الدنان وقعر الدن كذاك سر المحبة المستور فى مضيق صدر العشاق

وسـويداء قلب كل مـشتـاق يقـتضـى بسبب الغلبـة والاستـيلاء بلا باعث خارجى الانكشاف ويتقاضى الظهور.

(رباعية)

عـشــقك الذى كـان المـلك للمُلْك البــاطن

لمـا زادت عظـمــــة ملـوكـــــيـــــتـــــه

رافـق دمـع عـــــــــــينـى ووافـق آهـاتـى

وخـــيمّ خـــــارج مـــخـــيّم صـــدرى

ومنهـا أن الخمر كمـا أن ليس لها - فى حد ذاتها - شكل مـعين وصـورة خـاصـة بل إن أشكالهـا وصـورهـا هـى بحسب أشكال الأوعيـة والأوانى وصورها التى تكون فيها فتبدو فى الدنـان بصورة تدوير الدنان وفى السطل بصـورة تجـويف السطل وفـى الكأس بشكله الداخلى كذاك معنى المحبة ؛ فـهى حـقيقـة مطلقة وظهـورها فى أرباب المحبة بحسب أوعية قابلياتهم وأوانى استعداداتهم ، فتظهر فى بعضـهم بصورة المحبة الذاتية ، وفى بعضـهم بصـورة الأسمـاء والصفات الإلهية ، وفى بعضـهم بصـورة محبة الآثار على اختلاف مراتبها وليس سبب هذا التفاوت غير التفاوت بين قابلياتهم واستعداداتهم .

(رباعية)

العـشق مع أن كل امـرىء به انجـذاب إلـــيـه

ليـس يربـطه بأحــــد صــلح أو ســــلام

وخـــمــر الـعـشق لا لـون لهـــا مطلقًـــا

وإنما تتلون بـألوان كـاسـاتهـا وزجـاجـاتهـا

ومنها أنهما يسريان سريانًا عامًا ؛ فكما أن أثر الخمر الصورية يجرى فى كافة جوارح شاربها وأعضائه كذلك حكم خمر المحبة إذ يسرى فى جميع مشاعر صاحبه وقواه ؛ فلا تنجو شعره على جسده من ابتلاء المحبة ، ولا ينتقض عرق فى بدنه بلا اقتضاء المودة ، سرت كالدم فى لحمه وجلده وحلّت كالروح فى باطنه وظاهره.

(رباعية)

أســـرع الفَـــصَّـــاد لـيـــفـــصــد المجنون

لـكى يـســـــيـل منـه الدم بـشـــــده الـدم

فــــبكـى المجنـون قـــائـلاً أخـــشى أن

يـخــــــرج مـن قلـبى دم تـألّمـى من لـيلـى

ومنها أن الخمر والعشق يجعلان شاربها وصاحبه جوادًا وكريمًا ولو كان بخيلاً ولئيمًا ، لكن ثمرة كرم شارب الخمر بذل الدرهم والدينار ومقتضى جود صاحب العشق بذله كل ما فى الوجود ، يهب سكران الخمر الدرهم أو الدينار ويمنح سكير العشق حياته بالدنيا والآخرة .

(رباعية)

سكـران الخـــمـــر إن يحـــرك يد كــرمـــه

لا يمكـنه أن يمنح غـــيـــر الـدرهم والديـنار

فــإن ركب سكران همـك مـركب الـهـمــة

مــــــسح بكـمــــــه فـــــرق الـكونـين

ومنها أن كلا من سكران العشق وسكران الخمر جريئان لا يباليان ويخلوان من صفة الجبن والخوف ذوا جرأة فى المخاوف واستغناء عن الحياة فى المهالك ، لكن شجاعة الثانى بسبب انغلاب العقل القاصر وجرأة الأول بسبب غلبة نور الكشف واليقين ؛ الثانى ينتهى إلى هلاك الدارين ؛ والأول يفضى إلى حياة الخالدين .

(رباعية)

نحن السكارى والمعربدون والرنود والشطار

خطـونا بمـيـــدان الهـــلال فى الـعـــشق

لو قــتلـنا سـيف هم العـــشق مـــائة مــرة

فـلا خوف لدينا فهـذا سـبب العـمر الخـالد

ومنهـا التـواضع وضـراعـة اختـمـار العشق وسكر المحـبـة ، يلقى بالمنعمين من منصـة الترفع والاعتلاء إلى عتبـة التواضع والخضـوع ، ويسقط المعززين بالدنيا من أوج العزة والسؤدد إلى حضيض المذلة والخور .

(رباعية)

كم من الجالسين على العروش سكروا هيامًا بك

فجلسوا على التراب فى سلك المتسولين منك

أخضعوا رءوسهم إلى بابك ليلثموه دومًا

كالكلاب عدواً بسبب الحاجة وكرعاة الكلاب تسولاً

ومنها إفشاء الأسرار فكل أسرار التوحيد هذه وحقائق الأذواق والمواجيد التى بقيت على صفحة الزمان وصحيفة الليل والنهار هى ثمرة مقالات متجرعى الجام السلسبيلى المعرفة ، ونتيجة محادثات متعطشى المرام الزنجبيلى للعشق والمحبة ٠

(رباعية)

عشق أتى بى إلى هذا العش الذى

لا أول له ولا آخر لكى أجدد العهد القديم

وصب فى حلقى كأسًا من الدنان اللدنى

فسكرت وأجريت لسانى بالحديث

ومنها مسلك الفناء والغيبة والخلاص من قيد الوجود والأنانية ، لكن سكر المحبة هو كمال الشعور والوعى بالمحبوب وسكر الخمر هو غاية الجهل والغفلة عن كل مطلوب فيظهر لهؤلاء المبعدين طريق دركات البعد والنكال ويزيد لأولئك المقربين علو درجات القرب والوصال ٠

(رباعية)

لاتعب علىَّ يا سيدى لو شربت الخمر

اجتهدت فى العشق والهيام فى المدام

فـأنا أجالـس الأغـيـار طالما كنت مـفـيـقًـا

وأحـتــضن الحــبــيـب طالما كنـت سكران

ومنها أنهما بقدر زيادة شربهما يزيدان فى طلبهما ، وبقدر عظم اجتراعها يزيد كـدهما فى طلبهـما فلا يفيـق هذا السكران ولا يرضى هذا الحريص ، كتب عظيم إلى آخر :

(رباعية)

حــــاشــــا أن أتـعـــقـب ثانيـــة الـكأس

أو أســـيــــر فـى طلـب الصــــهـــبـــاء

فــأنا ذاك الـكأس المتــرعــة لـو زادت قطرة

أَفَـــضْتُ مــــــثـلـهـــــا من رأسـى

فقال يجـيبه : شربت الحب كـأسًا بعد كأس فما نفـــد الشراب ولا رويت

(رباعية)

أنا بـحــــر عطـشــــان وبلا قــــعــــر

فــــأدرك عَـطشًــا عـطش أيـهــا الســاقى

ظللت عـــمـرًا أجـرع الخـمـر الـصافـيـة

مــثل الماء فـلا انتـهـت الخـــمـر ومــا ارتويت

ومنها رفع برقع الحـيـاء والحشـمة وزوال حجـاب الشـرف والحرمة ، فإذا استولى سكر المحبة فعلى المحب أن يعرض عن الجميع ، ويجلس على بساط الانبساط ، ويطوى ذيل ثوبه عن كل الأضداد.

(رباعية)

مـا أسـعـد أن أسكر وأمـضى إلى حـيك

وأتجـرأ وأنظر إلى وجـهك القـمـرى

وألثم مـرة حُـقّـهَ لعْلِك المتناثر

وأحصى مرة حلقات شعرك الجعدى المسكى الرائحة

(لامعة) : يمكن أن تكون النكتة فى أداء معاينها بلباس الصور بضعة أشياء منها : (أولاً) : أن يصل الآدمى فى بداية حالة بواسطة إعمال آلات الحس والخيال من المحسوسات إلى المعقولات ويدرك من الجزيئات الكليات ؛ إذن فلا يكون إدراك المعانى إلا ضمن الصور المأنوسة لنفسه والمألوفة لطبعه فإن خالف ذاك يمكن أن يصل إليها قوة فهمه ويطيق إدراكها.

(رباعية)

مع أنك لا ترى الجـفـاء

ولا تضـمـر تمنى إيذاء القلب فى قلبك

لكن لا تمر على عاشقك مسفراً

فإنه لا يطيق إسفارك عن وجهك

(والثانى) : منها ما ليس يستفيد منه ويحتظى غير أهل المعنى عند أداء معاينها بلا لباس الصور لكن إذا أُديت معانيها بلباس الصور عم نفعها وتم فائدتها .

(رباعية)

الدين له معنى حين يختطف القلب

والكفر أيضًا له معنى حين يزيد الحب

لكنهما يُجليان بلباس الصورة

حتى تفهمه العين الحاسة بالصورة

وكثيراً ما يحدث أنه لعابد الصورة بسبب أن بعض المعانى تؤدى فى لباس الصورة تراه يميل إلى استماعها فيلقى جمال المعنى من وراء ستار الصورة شعاعاً عليه، ويقوى فهمه ويلطف سره فيهرب من الصورة ويتشبث بالمعنى.

(رباعية)

ما أكثر من يتعب من أجل شيء تافه

وفجأة تعثر قدمه بكنز

وما أكثر من يشق الجبل من أجل حجر

ونعَبة يتساقط عليه جواهر المنجم

(والثالث) : أن جميع الناس ليسوا محارم أسرار الحقيقة وواقفين على أحوال أهل الطريقة، لذا يستعيرون لستر أسرارهم وإخفاء أحوالهم الألفاظ والعبارات المستعملة والمشهورة فى محاورات أهل الصورة فى المقاصد المجازية حتى يظل جمال هذه المعانى بعيدة عن أعين الغرباء ومستورة عن نظر الأجانب.

(رباعية)

رَجَّل الجـــمـــيـل ذؤابتـــه فـــعـــقـــدها

ووضع على مـــحـــيـاه ضـــفـــائره العنبـــرية

فـــأخـفى بهـــذه الحيـلة طلعـــتـه البـــهـيـــة

حـــتى لا يتـــعـــرف عليـــه كل غـــريب

(والرابع) : أن أذواق أرباب المحبة ومواجيدهم وأسرار معارف أصحاب المعرفة إذا ذكرت بلسان الإشارة يزيد تأثيرها فى نفوس مستمعيها عما لو كانت بصريح العبارة ؛ ولهذا فإن كثرة من هذه الطائفة لا يتغير حالهم من الاستماع إلى الآيات القرآنية والكلمات الفرقانية ؛ لكنهم يتغيرونهم ويثورون عند استماع بيت أو أكثر عربى أو فارسى يشتمل على وصف ضفائر الحسان وخالهم وغنج المحبوبين ودلالهم أو على ذكر الخمر والحانة والدن والكأس .

(رباعية)

حين يفـــشى هذا الملائـكى الطلعـــة جـمـــاله

لا يتـــــحــــرك بال الـعــــاشق من دلاله

لكنــه إن غـــمز خــاضعًا بالقول مع الغنج والدلال

يغــيـــر عـلى العـــاشـق المسكـين حـــاله

(لامـعـة) : بمـا أنه بناء على مـصـحـحـات بيـان المعـانى فى لبـاس الصـور ومـرجـحـات مـا ذكـر فى هـاتين اللامعـتين قد بين الشيخ الناظم - قدس سره - مـعنى العشق والمحبة فى كسـوة المدام والخمر الصـورى ؛ فـقـد آثر من جملة الألفـاظ والعـبـارات الموضـوعـة لهـــا لفظ (المدامـة) للإشـعـار بالمداومـة والمواظبة على شـربهـا ، وأى مـداومـة يمـكن أن تطـول عنها وبداية شربها الأزل ونهايته الأبد ؟

(رباعية)

عـجل أيها الـساقى بالخـمـر من هذا العظيم

ولا تفـصلـهـا عنى وأعطهـا لى على الدوام

وبما أن فى لغـــة العـــرب الخـمـــر هى المدام

فـعـجل يا قـمـر العـجم بإعـطائى هذه المدام

ولما أن كُمَّل هذه الطائفة مـتحققون بالمحبة الذاتيـة المتعلقـة بتلك الذات ولفظ الذات مؤنث

والمحب الصادق كل ما يقوله يكون مناسبًا لمحبوبه ، وكل ما يطلبه يطلبه موافقًا لمطلوبه فلا جرم أنهم استعاروا لفظ المدامة وهى صيغة مؤنث للمحبة الذاتية وليس للمدام.

(رباعية)

إن دأبى وديدنى هو التنزه بالحديقة كل يوم

لعل الشقائق والورد يسكنانى

حيثما أرى وردة فى لونه وأريحه

أشم هذه الوردة بالحديقة وأقطف تلك الأخرى

قال الشيخ الإمام العالم العامل والسيار العارف الفاضل شرف الدين أبو حفص عمر بن على السعدى المعروف بابن الفارض المصرى قدس الله تعالى سره وأعلى فى الملأ الأعلى ذكره :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

الشرب بالحركات الثلاث هو شرب الماء وغيرها من الباب الثالث من الأبواب الستة للثلاثى المجرد.

والمدامة هى الخمر باعتبار أن شاربها يمكن أن يستديم عليها ، والسكر بالفتحيتين هو السكر من الباب الثالث ، والكرم هى شجرة العنب ، وجملة سكرنا بها صفة المدامة ، والجار والمجرور من قبل أن

يخلق متعلق بـ (شربنا) ، يقول شربنا وجرعنا مع بعضنا بسعادة على ذكرى حضرة الحبيب الذى تتجه إليه محبة الجميع شرابًا سكرنا به ، بل برائحة منا غبنا ، وهذا قبل خلق الكرم وهو شجر العنب ومادة الشراب المشهورة الفائضة بالغليان والجيشان.

(رباعية)

فى اليوم الذى لم تدر فيه الأفلاك والأزمان

ولم يختلط الماء والنار والتراب

كنت سكيراً على ذكرك معاقراً للخمر

برغم أنه لم تظهر الخمر بعد ولا الكرم

(رباعية)

نحن الجارعون من كأس عشقك

فأنثر على جارعيك جرعتك

جرعنا على ذكرك ذاك الصباح صبوحًا

مع أنه لم يكن قد ظهر الكرم ولا زراعته

(لامعة) : للحق سبحانه تجليان ؛ (الأول) : علمى غيبى وهو ظهور وجود الحق سبحانه على ذاته فى حضرة العلم بصور الأعيان وقابلياتهم واستعدادتهم ، وفى هذا التجلى لا تتصف الأعيان بالوجود العينى، وكمالات الأعيان كالعلم والمعرفة والعشق والمحبة وأمثالها مختفية

فيها وباطنة ، و (الثانى) : التجلى الوجودى الشهادى وهو ظهور وجود الحق سبحانه بحسب استعدادت الأعيان وقابلياتها روحًا ومثالاً وحساً وهذا التجلى الثانى مترتب على التجلى الأول ومظهر للكمالات المندرجة بالتجلى الأول فى استعداداتها وقابلياتها.

(رباعية)

وهبـــتنا مـن البـــداية الطلـب والحـــاجـــة

ثم أعـــددت الـكرم علـى حـــسب الطـلب

ومـــا هذه كـلهـــا حـــتى تـفـــشى الكنز

الخـــفى علـى الخلق من مـكنز الأســـرار ؟

إذن يمكن أن يكون المراد بالمدامـة هـو المحـبـة الذاتيـة ، وبشـرب المدامـة قـبول الاسـتـعداد لتلك المحبة فى مـرتبة الأعيـان الثابتـة وبذكر الحبيب تجليه العلمى الغيبى فى حضرة العلم بصور الأعيان والقابليات؛ وحينئذ تكون إضافة الذكر إلى الحبيب من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله ، والمراد بالسكر الاستعداد للسكر فى نفس تلك المرتبة مع حقيقة السكر فى المراتب التالية الأدنى منها ، وبالكرم الكثرة الوجودية العينية أى صرنا قابلين ومستعدين لدى التجلى العلمى الغيبى للحق سبحانه بصورة أعياننا الثابتة فى حضرة العلم لشراب صفة المحبة الذاتية التى كانت سبب استعداد سكرنا فى نفس تلك المرتبة مع موجب حقيقة السكر فى المراتب الأخرى ، وكان هذا القبول والاستعداد قبل ظهور الكثرة الوجودية العينية.

(رباعية)

ما أسعد ألا تكون الروح رأت خارج عالم السر والعلن راحة الروح ولا ضنى الجسد

كنت قد جعلت من زاوية كتم العدم وطنًا لى وكان عشقك وعشقى لك وكنت أنا

ويمكن أن يكون المراد بشرب المدامة التحقق بصفة المحبة فى عالم الأرواح وحينئذ تكون إضافة الذكر إلى الحبيب إضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد بالسكر حقيقة السكر أيِ الحيرة والهيام الذى يكون لأرواح الكمل فى مشاهدة جمال الحق سبحانه وجلاله أى شربنا قبل تعشق الروح بالجسد، وتعلق الحياة بالبدن على ذكرى الحبيب شراب المحبة لأن سكر أرواحنا وحيرتها فى مشاهدة جمالك وجلالك كان بذاك الشراب .

(رباعية)

قبل أن تسقط روح الخضر فى الظلمات

ويجرى فى منبع الروح ماء الحياة

شربنا خمر العشق من حانة الذات

بلا فم وحلق من كأس الأسماء والصفات

(سؤال) لو قال امرؤ إن التفسير الثانى موقوف على وجود الأرواح قبل الأشباح وهذا غير مسلّم به ؛ لأن مذهب الحكماء هو أن

وجود الأرواح بعد حصول المزاج وتسوية الأشباح ، وقد وافقهم الإمام حجة الإسلام رحمه الله وحمل هذا الخبر المشهور وهو : (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام)، على أن المراد بالأرواح هو الأرواح الملكية وهى مبادئ سلسلة الوجود ، وفى لسان الحكماء يعبر عنها بالعقول والنفوس ، وإن المراد بالأجساد أجساد العالم وهى : العرش ، والكرسى ، والأفلاك ، والأنجم ، والعناصر ، أجبنا (جواب) بأن الشيخ الكامل المحقق الشيخ صدر الدين القونيوى - قدس الله سره - له فى بعض رسائله تحقيق وتفصيل وتقريره أن وجود النفوس الجزئية الإنسانية التى هى لعموم الآدميين بعد حصول المزاج وبحسبه ، أما وجود النفوس الكلية الإنسانية التى هى للكمل والخواص فهو قبل حصول المزاج ، وينقل عن شيخه صاحب فصوص الحكم ويقول : أخبرنى شيخى الإمام الأكمل - رضى الله عنه - مشيراً إلى حاله : إن ثمّ من يكون مدبراً لإجراء بدنه قبل اجتماعها بعلم وشعور ، ثم يقول : وذلك لكلية نفسه إذ من يكون نفسه جزئية يستحيل عليه ذلك ؛ لأن النفوس الجزئية لا تتعين إلا بعد المزاج وبحسبه فلا وجود لها قبل ذلك حتى يتأتى لهالاتدبير الأجزاء بعلم وشعور ، والمراد بالنفوس الكلية - كما يعلم من كلام الشيخ فى نفس الرسالة - هو النفوس الجزئية التى يكون الترقى من المرتبة الجزئية والانسلاخ من الصفات التقييدية العرضية من استعداداتها ، بحيث تعود إلى كلياتها وتتصل بها ، وذلك لأن ذواته الجزئية من حيث جزيئتها محال أن تشاهد المبدأ الأول ؛ إذ من المتفق عليه عند أهل الشهود أنهم لا يشاهدون كليًا ما حتى يصيرون كذلك ثم يزدادون ترقيًا باتصالهم بالكليات على الوجه المذكور

فى أمر المعراج طبقة بعد طبقة مستفيدين من كل اتصال استعداداً ووجوداً ونوراً وبصيرة ، هكذا حتى ينتهوا إلى العقل الأول فيستفيدون من الاتصال به بما يستعدون به بمشاهدة المبدأ كما هو شأن العقل الأول.

(سؤال) لو قال امرؤ : إن الدلائل المقامة على وجود الأرواح الجزئية بعد حصول المزاج لا تختص ببعض دون بعض.

(جواب) نقول : إن تلك الدلائل ناقصة ؛ والدليل على نقصها هو أنه يكفى أن مكاشفات أرباب الكشف والشهود التى تقتبس من مشكاة النبوة تشهد بخلافها.

(رباعية)

متى يصل العقل العليل إلى الوحى الجليل؟

برغم أنك تسمى الاثنين دليلاً ؟

إن كانت البعوضة كالفيل صاحبة خرطوم

فهيهات أن تكون البعوضة فى قوة الفيل

(لامعة): كل جزء من أجزاء العالم هو مظهر لاسم من الأسماء الإلهية، ومجموع العالم مظهر جميع المظاهر وليس جزء من أجزاء العالم ليس له فى الإنسان الكامل مجلى ومظهر ، لكن على سبيل الجمع

والإجمال فكان العالم كتاب مفصل مبوب والإنسان الكامل هو انتخابه أو فهرست فصوله وأبوابه.

(رباعية)

إن الـله الـذى خـطّ قلـم إحــــســــانـه

أبواب كـــتـــاب العـــالم وأركـــانه

رقم عـلى لـوح الوجــود فـــهـــرسًـــا

فى آخـــر صـنعـــه وســمـــاه الإنســان

إذن فـيمكن أن يكون إيراده شربنا وسكرنا بضمير جمع المتكلم إشـارة إلى الجـمع المذكـور بلا حسـاب للمـشـاركين فى هذا الشـرب والسكر، ويمكن أن يكون إشـارة - أيضًا - للمشاركة لأن أعيان كمال الأفراد والأقطاب وأرواحهم مشاركون ومساهمون فى الشرب والسكر لهذا الشراب مع الشيخ الناظم

(رباعية)

لست أنا الوحيد المستهام بالخمر فى عـشقك

فمن الذى قلت له بنفسك أن يتخلص من هذه الخمر؟

يوم أن تـناولـت بيــدى هـذه الخـــمـــر

كـان مـــعـــى المــشاركون شاربو خمر (ألست).

(وقال قدس سره)

لهـــا البـــدر كـــأس وهـــى شـــمس يـديرها

هـلال وكم يـبـــــدو إذا مـــــزجت نجـم

الكأس لا تسمى كأسًا إلا وفيها الشراب ، والشمس تطلق على الجرم وعلى الضوء ، والبدو هو الظهور والمزج خلط الاثنين من الباب الأول ، والواو فى (وهى شـمس) يمكن أن تكون للعطف أو للحـال ، ومميز (كم) خبر محذوف (أى كم مرة يبدو نجم) شبه كأس المدام فى استدارته واشتماله على أمر صافٍ كثير الفيضان ببدر التمام ، وشبه المدامة فى الصفاء والنورية والفيضان بضوء الشمس ، وشبه أصابع الساقى حين أخذه الكأس فى الدقة والاستقوا س بالهلال والأشكال الحبابية فى الاستدارة والنورانية وصغر الحجم بالنجم. يقول : لهذه الخمر على الدوام البدر كأس وهى فى نفس الوقت شمس فى فيضانها ولمعانها تديرها أصابع الساقى التى تشبه الهلال ، وما أكثر النجوم اللامعة فى أشكال الحباب وقت مزجها بالماء .

(رباعية)

الكأس بدر التـمـام والخمـر الشـمس المنيـرة

والهــــلال يدير تـلك الشـــــمس المنيـــرة

وتـظهــــــر مـــــائة نجـم لامــــعـــــة

حـين تتـلـطف نـار الخـــــمـــــر بالماء

(لامعة) : للحقيقة المحمدية – صلى الله عليه وسلم – وهو صورة معلومية الذات مع التعين الأول وصورة وجوده هو القلم الأعلى محاذاة تامة ومقابلة كاملة بالنسبة لشمس ذات الأحدية ، التى لا يتصور أعلى منها مرتبة ، ولا يحتاج إلى أى واسطة فى استفاضة نور الوجود والكمالات التابعة له بل يحتاج إليه سائر الحقائق والأعيان المظلمة بظلمات الإمكان فى الاستفاضة من النور المذكور ؛ إذن فنسبته فى الكمال محاذاته ومساواته للذات الأحدية ، وتوسطه بين تلك الذات والحقائق اللإمكانية فى إفاضة الوجود وتوابعة بعينه مثل النسبة المقابلة للبدر مع الشمس وتوسطه بين الشمس وسكان الليل الظلمانى فى إفاضة النور ولوازمه ؛ إذن بناء على هذا فيمكن استعارة لفظ البدر الموضوع بإزاء القمر التام لهذه الحقيقة.

(رباعية)

يا روحى وقلبى بأى اسم أناديك فى النهاية

أنت الروح كما أنت القلب فبأى منهما أناديك؟

بما أن ليل جميع العالم اقتبس منك النور

فأنا معذور لو ناديتك ببدر التمام

وبعد التعبير عن هذه الحقيقة بالبدر وعن المحبة بالمدامة ، فبما أن المتعطشين فى بادية الضلال والتيه يمكنهم بعون هداية الرسول الوصول إلى شرب الراح السلسبيلى للمحبة الإلهية وتجرع الشراب الزنجبيلى للمودة والمعرفة ، فيمكن أن يكون له كأس تلك المدامة والتعبير به عن جام ذاك المدام.

(رباعية)

دوران القمر من وجهك أيها البدر التمام

كأس أشرب منه خمر العشق على الدوام

ومن فرط سكرى من هذا الخمر والجام

لا أدرى ما هى الخمر وما هو الجام

ولما أنه لا يمكن التعبير عن المتصدى لإدارة هذه الكأس بغير أسماء الألوهية وأوصاف الربوبية التى عبر عنها بالأصابع فى الحديث الصحيح (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) ؛ فيمكن أن يكون الهلال الذى يشير إلى أصابع الساقى إشارة إلى هذه الأسماء والأوصاف وإسناد إدارة الكأس إليها .

(رباعية)

هذا المحفل أى محفل وأرباب الكمال

فيه يجرعون مدام المحبة من جام الجمال

انظر إلى القدح الفياض على كف الساقى

إنهـا بدر يديرها بضعة من الأهلة

(لامعة): الواصلون والكاملون على قسمين : جماعة هم مقربو حضرة الجلال وبعد وصولهم درجة الكمال لا يحال إليهم تكميل الآخرين تجرعوا من شراب العشق والمحبة ما أفناهم عن ذواتهم فغرقوا فى بحر

الجمع وانخلعوا من ربقة العقل والعلم وزالت عنهم أحكام الشريعة وآداب الطريقة : هم سكان قباب العزة وقُطّان ديار الحيرة لم يعد بهم وعى بوجودهم فأنىّ لهم الانشغال بغيرهم ؟

(رباعية)

ســـــعـــــيـــــد مـن عبّ فى هـذه الحـــانة

الخـــمـــــر من الدن والـدنان لا من الـكأس

حـتى أنه لا يعى هل العـالم مـوجـود أو فـان

ولو وجـــد العـــالم وفنـى مـــائة مـــرة

والقسم الثانى : هم الذين إن فنوا عن ذواتهم أعادهم إليها تصرف الجمال الأزلى ومنحهم النجاة من ذاك الاستغراق فى عين الجمع ولجة الفناء إلى ساحل التفرقة وميدان البقاء ، فعادوا إلى أحكام الشريعة وآداب الطريقة ومازجوا الشراب الزنجبيلى للجذبة والمحبة بالزلال السلسبيلى للعلم والمعرفة فنشأ عن امتزاج هذا الماء بذاك الخمر كثير من حباب نجوم آثار المعارف والأسرار ؛ فصار كل منهم نجم هداية الحائرين فى ظلمة بيداء الضلالة والحيرة ، ويمكن أن تكون الإشارة إلى أحوال هذه الطائفة عبارة الناظم قدس سره (وكم يبدو إذا مزجت نجمُ).

(رباعية)

هذه الطـائفـة مطلقـة مـن قـيـد الرســوم

فـــارغـــة من فـكر الأحـــوال والعـلوم

علـى ظاهـرهـم لـوامـع نور الـهـــــدى

للـدين نجـــوم للـشـــيــــاطين رجـــوم

(وقال قدس الله سره)

ولولا شـــذاها مـــا أهديت لحـــانهـــا

ولـولا سناها مـــــا تـصــــورها الوهـم

الشذى هى الرائحة الطيبة ، وحان جمع حانة ، والحانة دار بائع الخمر ، والسنا بالقصر ضوء البرق وبالمد الرفعة ، وكل ضمائر الغائب تعود على المدامة ، يقول : إذا لم يفح ريحها الطيب ونشـرها الزكى ما علمت قطع الطريق الصائب صوب دار بائعها ، وإذا لم يلح لمعان نورها وشعاع ظهورها ما استطعت سلوك طريق تصور حقيقتها بقدم الوهم .

(رباعية)

إذا لم تكن نكـهـة الخـمـر مـرشـد السكارى

لاســتـشكل عـليـهـم الاهـتـداء إلى الحـــانة

وإذا لم تجـــد عين العـــقل نوراً فـــيـهـــا

مـــا استـطاع أحـد إدراك حـقـيـقـتـهـــا

(لامعة) : وكما أن جمال الآثار المتعلق بالعشق المجازى ظل وفرع لجمال الذات المتعلق بالمحبة الحقيقية ، فكذاك العشق المجازى ظل وفرع للمـحبة الحقيـقية ، وبحـكم (المجاز قنطرة الحقيقة) فـهو طريق

حصولها ووسيلة وصولها، وسبب ذلك أن المقبل حين كان له بحسب الفطرة الأصلية قابلية المحبة الذاتية للجميل على الإطلاق عز شأنه، وبواسطة تراكم الحجب الظلمانية للطبيعة ظلت فى حيز الخفاء لكن أخذ حين بغتة شعاع من نور ذاك الجمال يظهر من خلال ستر الماء والطين فى صورة جميل موزون الشمائل متناسب الأعضاء متماثل الأجزاء رشيق القد صبيح الخد كريم الأخلاق طيب الأعراق.

(رباعية)

كريم الفعل جميل الكلم خفيف الحركة

مرهم على حروق كل قلب مغموم

كأنه الوردة المبكرة التفتح تنزه ذيلها

عن لوث يد كل جرىء

فلا شك من أن طائر قلب ذاك المقبل يقبل عليه ويطير فى فضاء محبته، ويؤسر لحبته، ويصطاد من شركه ويعرض عن كل مقصود بل لا يعلم غيره مقصوداً.

(رباعية)

يأتى من المسجد والخانقاة مخموراً

يشرب الخمر ويأتى ثملاً إلى باب الحبيب

ويبرم بكل شىء إلاّ عشق الحبيب

ويفتديه بألف روح له

وتأخذ نار العشق وشعلة الشوق فى الاشتعال فى طبعه ، وتبدأ الحجب الكثيفة وهى انتقاش القلب بالصور الكونية فى الاحتراق فيكشف غشاوة الغفلة عن بصر بصيرته ويجلى غبار الكثرة عن مرآة حقيقية ، ويغدو بصره حديداً وقلبه بالحقيقة عليمًا ، ويدرك النقص والاختلال للحسن السريع الزوال ، ويوقن بالبقاء والكمال لذى الجلال فيهرب من ذاك ويتشبث بهذا ويستقبل سابقة عنايته ، فيظهر عليه أولاً جمال وحدة الأفعال ، وحين يتمكن من محاضرة الأفعال ينكشف له جمال الصفات ، وحين يرسخ فى مكاشفة الصفات يتجلى له جمال الذات ويتحقق بالمحبة الذاتية وتنفتح عليه أبواب المشاهدة ويرى الوجود من أوله إلى آخره حقيقة واحدة حين تجلى ظاهره بجميع شئونها واعتباراتها على باطنه تميزت الحقائق العلمية ، وحين انصبغ بأحكام الحقائق العلمية الباطنية تعينت الأعيان الخارجية ؛ فيجد الله على كل ما يجرى ويراه فى كل ما ينظر ويشاهد فى كل لحظة وجهه ويقول :

(رباعية)

أنت كنت فى صدرك الباطن وأنا غافل

وكنت فى عينك العيان وأنا غافل

وكنت أنا أبحث عنك عمراً فى الدنيا

فكنت ذاتك جميع العالم وأنا غافل

فإذا بلغ هذا المقام علم أن العشق المجازى كان بمنزلة رائحة من حانة العشق الحقيقى ، وأن المحبة الآثارية بمثابة شعاع من شمس المحبة الذاتية لكنه ما كان ليصل هذه الحانة لو لم يشم هذه الرائحة ، وما كان ليحتظى بهذه الشمس لو لم يشع عليه هذا الشعاع.

(رباعية)

سـعـيـد من شم رائحـة الحـانة
وتعـقب هذه الـرائحـة فـوصل الحـانة
ولاح بـرق مـن ربـع الحـانـة
رأى فـى برقـه حـرم الحـانـة

(وقال قدس الله سره)

ولم يبق منهـا الدهـر غـيـر حـشـاشـة
كـأن خـفـاهـا فى صـدور النهى كـتم

الحشاشة هى بقية الروح ، والنهى جمع نهية ، والنهية هى العقل باعتبار نهيه عن القبائح ، والكتم والكتمان هو الإخفاء من الباب الأول ، والكتم هنا بمعنى المكتوم ، والضمير فى (منها) راجع إلى المدامة ، وضـمير (خفاها) راجع للحشاشة ، وجملة (كان خفاها) صفة الحشاشة ، ويمكن أن يعود كلا الضميرين إلى المدامة ، والجملة الثانية تؤكد مضمون الأولى ، وإضافة الصدور إلى النهى إما بناء على حذف

المضاف أى صدور ذوى النهى أو من قبيل الاستعارة المكنية إذ شبه النُهى بأصحاب الصدور وأثبت الصدور وهى من لوازم المشبه به لها يقول ولم يبق مصرّف الزمان ومحول الليل والنهار من تلك الخمر التى هى بمنزلة الحياة للأرواح بمثابة الأبدان لها غير بقية من روح كأن اختفاءها فى صدور أولى النهى قد اختفى واستتر .

(رباعية)

واحــزناه واسـفــاه من أن بـربع المجــوسى

لم يجد شاب الخمر من الخمر اسمًا ولا رسمًا ثانية

قـد خـفـيت الخـمـر حـتى أنهـا خـفت على

جـمـيع الناس واخـتـفـى أيضًا اخـتـفـاؤها

(لامعة) : لحضرة الحق سبحانه أسماء متقابلة ، ولكل منها بحسب ظهور الأحكام والآثار دولة وسلطان ؛ فحين يأتى دور دولتها وسلطنتها تظهر أحكامها وتبطن الأحكام المقابلة لها وبالعكس ، وكل هذا بمقتضى العلم الشامل للحق وحكمته الكاملة سبحانه ، وكل منها فى موقعه فى غاية الكمال ونهاية الجمال.

(رباعية)

حين تجـتلى بطلعـتك فـأنت أبهى من القـمـر

وحين ترجل شعرك فضفـائرك تمتلىء بالثنيات والعقد

وحين تقـــــوس كــالقــوس حــاجــبــيك

فما أجملها حقًا ، أن كل مـا فيك بعضه أجمل من الآخر

ومن قبيل الأسمـاء المتقابلة اسمـا : الظاهر ، والباطن ، والظهور والكثرة كـالبطون والوحدة متلازمـات ؛ لأن الظهور وهو تلبس الحقيقة بصـور التـعينات والبطون هو عدم ذلك ، وهذا التلبس هو عين الكثـرة وعدم تلك العين هو الوحدة ، وليس من شك فى أن فى الكثرة غلبة أحكام ما به الامتياز على مـا به الاتحـاد ، وبالعكس فى الوحدة ؛ إذن فحينمـا يتجلى الحق - سبحانه وتعالى - باسم الظاهر فلا مناص من أن أحكام ما به الامتياز تغلب أحكام ما به الاتحاد ، ولا يخفى أن العلم والمعرفة والمحبة وأمثالها كله من أحكام ما به الاتحاد بين العالم والمعلوم والعارف والمعروف والمحب والمحبوب، إذن فعند غلبة أحكام ما به الامتياز يكون جميع هذه فى مقام الخفاء والبطون وأربابها فى حجاب الستر والكمون لأنه بسبب غلبة أحكام ما به الامتياز بينهم وبين سائر الخلق لا يستطيع علم أى واحد ومعرفته التعلق بهم إلا على سبيل الندرة ، وهذا ما أشار إليه الشيخ الناظم - قدس الله سره - فى هذا البيت من الخفاء والبطون والستر والكمون ، وهذه الطائفة كانت كثيرة فى عهد المذكور كما هو مشهور.

(رباعية)

كلمـــا زدت امـــتناعًـــا عن وصـــالى

فـاضت دموعى شـوقًـا لشـفتيك العنابيـتين

حين تجد مستسقيًا وسط البحر

لا شك من أنه يشكو عدم وجود الماء

(قال قدس سره)

فإن ذكرت فى الحى أصبح أهله

نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم

الحى هو القبيلة ، والنشوة هى السكر ، ونشا ينشو ونشى ينشى من الباب الأول والثالث وهو نشوان وهى نشوى وهم وهن نشاوى ، يقول لو ذكرت هذه المدامة فى نواحى الحى وهو قبيلة المقبلين وقبلة الأحياء القلوب فلابد أن ينتشى أهل ذاك الحى ويفنون من غاية النشوة ، بينما لا يركبهم عار من السكر ولا غبار من ذنب شرب الخمر .

(رباعية)

أود خمراً يسكر بها العقل

ويضيع من يدى سلك الاختيار

وإذا بدأ المطرب فى وصفها إنشاده

سكر كل ذى قلب حى من إنشاده

(رباعية)

ليس لراح العشق قط خمار

وليس إلىّ منها لحظة اجتناب

وبما أنه ليس من شغل شاغل غير شربها

فليس على منها عار واعتياب

سر الحياة فى كافة الموجودات سارٍ لأن كافة الأشياء تسبح لحضرة الحق - سبحانه وتعالى - كما قال : (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، والتسبيح يمتنع بدون صفة الحياة.

(رباعية)

سواء الفلك أو الأركان أو المعادن أو النبات

يسرى فى أجزائها جميعًا سر الحياة

تسبح كلها بكل عشى وغداة

لله سبحانه رفيع الدرجات

وتأويل التسبيح بدلالة الأشياء على تنزيه الحق سبحانه وتقديسه، ونفى التسبيح الحقيقى مخالف لكشف الأنبياء والأولياء عليهم السلام وسريان سر الحياة فى كل شىء بواسطة سريان الهوية الإلهية منصبغة بصبغة الحياة فى الأشياء ، لكن لكل موجود حياة مناسبة له تظهر فيه بحسب قابليته واستعداده وكذا الحال فى لوازم الحياة من العلم والإرادة والقدرة وغيرها ، إذن فإذا كان لذاك الموجود مزاج قريب إلى الاعتدال كالإنسان يظهر فيه صفة الحياة مع جميع لوازمها أو أكثرها ، وإذا ناء مزاج ذاك الموجود عن الاعتدال كالمعدن والنبات بطنت فيه صفة الحياة

ولوازمها ؛ إذن فيمكن أن يكون المراد بالحى فى هذا البيت هو العالم الكبير ، وفى التعبير عنه بالحى مع أن القصد هو القبيلة منه إشعار بسريان الحياة فى جميع أجزاء العالم جماداً كان أو حيوانًا وحينئذ يراد بأهل الحى طائفة لهم أهلية شرب شراب المحبة وقابليته قبول أسرار المعرفة لأنه ما عدا هذه الطائفة هم فى حكم العدم بل أقل كثيراً من العدم.

(رباعية)

الثـــابتـــون قـــدمًـــا على طـريق العـــشق

أعـــلام فى علـو الهـــامـــة فى ملـك الوفـــاء

هم مـــقـــصـــود خـــلاصـــة الوجـــود

والبـــاقى جـمـــيـعـــهم مع وجـودهـم عـدم

ويمكن أن يكون المراد بالحى قبيلة أرباب المحبة وأسرة أصحاب العشق والمودة لأن من هو من هذه الطائفة حىٌ بحقيقته وجدير بالحياة الحقيقية – لو أنه – مثلاً – فى المشرق وآخر منهم فى المغرب لا تصل الاثنان وتوحدا وجهًا وقلبًا .

(رباعية)

عـــشـــاقك لو كـــانوا ملوكًـــا أو دراويش

فهم على مـذهب واحد مستـقيمون كـالسهم

يُخَرْجون قلبًا من القريب إليهم إذا لم يكن عاشقًا

ويتقربون إلى الغريب إن كان عاشقًا

ويمكن أن يكون المراد بالحى مجموعة وجود الإنسان الكامل ، والمراد بأهل الحى الروح والقلب والنفس والقوى الروحانية والجسمانية لكل واحد من هذه فى وجود الإنسان الكامل من سماع ذكر شراب المحبة سكرًا آخر وفناء بأتم ما يكون الفناء

(رباعية)

حيثما يذكر المطرب البديع الألحان

خمر عشقك على أنغام الرباب

يسكر عقلى وقلبى وروحى غاية السكر

لسعادة سماع ذكر تلك الخمر الصافية

(وقال قدس سره)

ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت

ولم يبق منها فى الحقيقة إلا اسم

الحشا هو ما بداخل الباطن وجمعه أحشاء ، والدن هو إبريق الخمر وجمعه دنان ، (تصاعدت) أى ارتفعت يقول : تصاعدت هذه المدامة من بين أحشاء الدنان وتباعدت وتصاعدت من المقار السفلى إلى المقامات العلوية لميلها ، ولم يبق منها فى الأنام إلا الاسم

(رباعية)

وا ألماه فلم يبق ند يشـــرب الثـــمـــالة

ولم يتبق من الخمر قطرة فى القدح والكأس

مالت الخمر إلى الصعود من قلب القدح

فلم يبق منهـا فى الحـانات غـيـر الاسم

(لامعة) : وجود الكمالات التابعة للوجود كالحياة والعلم والإرادة والقدرة وغيرها التى تظهر فى آخر مراتب الوجود وهو الإنسان هى نفسها الوجود والكمالات لحضرة أحدية الجمع التى تنزلت من أوج درجات الكلية والإطلاق وظهرت فى حضيض الدركات الجزئية والتقييد ، وتبدو فى نظر المحجوبين منسوبة ومضافة إلى المظاهر الجزئية والتقييدية ، لكن بما أن إضافة هذه الأمور إلى المظاهر الجزئية تسقط فى نظر بصيرة أهل المشاهدة بواسطة صدق المجاهدة وتزول نسبتها إلى المراتب التقييدية ثم تعود إلى مرتبة كليتها وإطلاقها ، فيمكن التعبير بالتصاعد عن سقوط الإضافات وزوال النسب والاعتبارات عنها وعودتها إلى مرتبة الكلية والإطلاق ، كما أنه يعبر بالتنزل فى مقابله لأن الصعود والنزول متقابلان ؛ إذن فيمكن أن يكون المراد بالدنان هو النفوس الكاملة لأولياء الله باعتبار إحاطتها واشتمالها على شراب العشق والمحبة ، والمراد بالتصاعد انقطاع الإضافة والنسبة للمحبة عن مراتب التنزلات ورجوعها إلى مقرها الأصلى ومستقرها الأولى : وهو حضرة

أحدية الجمع ؛ لأنه حين يتحقق المحب العارف بمقام الفناء تنقطع نسبة جميع الكمالات فى نظر شهوده عنه ولا تبقى عليه إلا أن المحجوبين يطلقون عليه أسماءها ويقولون : فلان من أرباب المحبة أو من المحبين وأمثال ذلك ، وفى الحقيقة فصفة المحبة هذه قائمة بالحق لا به ٠

(رباعية)

بازى محبتك الملكى من أوج جلالك

نزل علىّ أنا الواله المستهام

فلما تمنعت لسوء الحظ عن مخالبه

طار عائداً إلى عشه وهام

(رباعية)

مع عشقك لم يبق بى هوى ولا هوس

فكيف يبقى مع النار المحرقة حسّ

لا يجد أحد من وجودى أى رسم

ولم يبق لى مستعاراً غير الاسم

ويمكن أن يكون المراد بالدنان أبدان الكاملين بناء على الإحاطة والاشتمال المذكورين ، ويمكن أن يكون المراد هو الأجرام السماوية لمشابهة الاستدارة والإحاطة والمراد بالأحشاء طبقات العناصر ، ومن

(بين الأحشاء) الكرة الأرضية مستقر أفراد الإنسان ، وعلى كلا التقديرين فالمراد بتصاعد شراب المحبة هو أن نفوس الكاملين لأنها صعدت بحكم (إليه يصعد الكَلِمُ الطيب) من عش السفل إلى حظائر القدس صعدت بتبعيته صفات الكمال من العلم والمعرفة والعشق والمحبة أيضًا ، ولم يوجد من هذه الطائفة جماعة أخرى كانت بمنزلة السابقين فى الكثرة والظهور ، ولم تظهر هذه الكمالات بهذه المثابة من أى إنسان آخر.

(رباعية)

لا يمكن أن تجد فى عرضات الكون

مواسيًا لصيقًا ولا فى قصة العشق محرمًا للأسرار

ولا يمكن أن تجد فى حانة الفلك شيئًا

من هذه الخمر التى أتى عليها الأنداد جميعًا ورحلوا

وحينئذ فالمقصود من هذا البيت إظهار التلهف والتأسف على عدم وجود هذه الطائفة ، وعدم ظهور هذه الكمالات وليس نفس مرتبة الولاية وأهلها والله تعالى هو المستعان

(قال قدس سره)

وإن خطرت يومًا على خاطر امرىء

أقامت به الأفراح وارتحل الهم

خطر الأمر بباله وعلى باله خطراً وخطوراً أى ورد أمر على قلبه من الباب الأول والخاطر ، ما يرد على القلب والمراد به هنا القلب تسميةً للمحل باسم الحال ضمير مجرور عائد على الخاطر وباء جاره بمعنى (فى) ، ويمكن أن يعود على الخطور الذى يفهم من الخطرة والباء للسببية ، يقول إن يخطر يوماً ذكر هذه أى السعادة والراحة إلى خاطر الفتوة الحرة لمسافرتى تلك الساحة لأقامت السعادة والراحة ولارتحل مجاورو ذاك الحرم أى الألم والحزن .

(رباعية)

يزول الهم بسبب راح العشق

ويعمر ما خربته الحادثات

ويخطر العشق إلى خاطر الحزين فيسعد

ويتحرر من هم الزمان وغمه

(لامعة) : تعلق العلم والشعور بالأمور يمكن أن يكون بوجهين ؛ الأول : بحصول ظل المعلومات وصورتها كمثل زيد أو عمرو حين يحدث لكل منهما صورة مرئية فى ذهنك ويتميز كل منهما عن الآخر بصورته الخاصة ، والثانى : بحضور ذوات المعلومات كالعلم : بالجوع ، والشبع ، والشهوة ، والغضب ، والمحبة ، والعداوة بعد اتصاف النفس بها ، وهذا العلم ذوقى ووجدانى ، ولا شك فى أن خطور المحبة الذاتية إلى القلب والشعور بها على الوجه الأول يكون بنحو أن تسمع بها من إنسان أو تقرأ عنها فى كتاب أو تدركها بفكرك فلا تثمر بهذا سعادة أو توجب

كرامة مُعتداً بها ، بل إن السعادة الأبدية وكرامة الدارين يمكن أن تكون في أن يتجلى الحق سبحانه تجليات ذاتية اختصاصية ، بحكم (إن لربكم في أيام دَهرِكم نَفْحَات) على صاحب سعادة يتعرض باستعداده الكلي الأصلي وصفائه الروحاني ودوام توجهه وافتقاره بموجب (ألا فتعرضوا لها) إلى نفحات الألطاف الربانية فتفنيته عن ذاته بالكلية وتذيقه مذاق المحبة الذاتية ؛ فيحصل لروحه بواسطتها ابتهاج ويشع النور على قلبه ويتحول قبضه إلى بسط ؛ وينعكس القلب على النفس فيفارقه الحزن والألم ويرافقه الفرح والسرور.

(رباعية)

كان الليل فلمع برق في سحاب الربيع

من فوق منزل الحبيب بسبب بكاء عيني

فأسرج قنديله في دار السعادة والطرب

وأشعل شرارة في بيدر الحزن والألم

وكان مراد الشيخ الناظم قدس سره - ولا شك - من الخطور المعنى الثاني لا الأول ، ومن الله الهداية وعليه المعوّل.

(وقال قدس سره)

ولو نظر الندمان ختم إنائها

لأسكرهم من دونها ذلك الختم

نظر إلى الشيء ونظره نَظَرًا أو نَظْرًا عاينه من الباب الأول ، ويمكن أن يكون (الندمان) بضم النون جمع نديم كرغفان جمع رغيف أو بفتح النون على صيغة المفرد ؛ وحينئذٍ يعود ضمير الجمع باعتبار المعنى ؛ لأنه جنس سواء كان اللام للجنس أو للاستغراق ويشمل أفرادًا كثيرين ، وفى الصحاح نادمنى فلان على الشراب فهو نديمى وندمانى وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى ، ويقال المنادمة مقلوبه من المدامنة لأنه يدمن الشراب مع نديمه، ختم على الشيء ختمًا وضع الختم على شيء من الباب الثانى والمراد بالختم هنا ما يختم به وليس المعنى المصدرى ، الإناء هو الظرف الذى يوضع فيه الشراب وغيره وجمعه آنية وجمع آنية أوان ، يقول إن ينظر ندمان محفل المحبة ومقيمو عشٍ العشق والمودة ختم إناء ذاك الخمر وخاتم وعائه فلابد أن يسكروا بلا شرب خمر مجرد رؤية ختم ذاك الإناء.

(رباعية)

يا رب أى خمر هذه التى تمزق دائمًا

دراعة تقواى مائة مزقة

إذا نظر إلى ختم دنها شارب الخمر

لسكر من دون خمر ذاك الناظر

ويمكن أن يكون مراد الناظم - قدس سره - بالإناء قلوب الكاملين وأرواح الواصلين التى تحمل فى الحقيقة المحبة الذاتية ، والمراد بختم

الإناء البدن الجسمانى العنصرى المحفوف بالهيأة البشرية ويستوى فى هذه الصورة البدنية العارف والجاهل والناقص والكامل ؛ إذن فيقيس المحجوبون بناء على هذه المساواة الصورية حالهم عليها ولا يطلعون على أحوالهم الباطنية بل يصرون على نفيها ، أما الطلاب القابلون والمريدون العارفون الذين هم باستعدادهم الوهبى وقابليتهم الكسبية ندمان محفل هذه الطائفة وحرفاء مجلسهم وعلى شرف شرب هذا الشراب فهم الذين يشاهدون آثاره على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم وتؤثر هذه المشاهدة فى باطنهم فتخلصهم من أنفسهم وتبلغهم مقام الفناء والسكر ، مع أنهم لم يتحققوا بعد بأحوالهم الباطنية ، ولم يتخلقوا بأخلاقهم المعنوية.

(رباعية)

أنت الذى من اسمك يمطر العشق

ومن رسالتك وكتابك يمطر العشق

من يمر بحيك يصبح عاشقًا

كأن من بابك سقفك يمطر العشق

والحق إن هذا المعنى ظاهر وجلى فى خواجات ما وراء النهر النقشبندية وخلفائهم وأصحابهم قدس الله أسرار أسلافهم وطوّل أعمار أخلافهم؛ لأنه بمجرد أن يقع نظر صادق على الجمال المبارك لواحد من هؤلاء الأعزاء إما أن تحدث له سعادة صحبتهم لحظة أو يقع اهتمام من

هؤلاء الأعزاء وإما أن تحدث له سعادة صحبتهم لحظة ، أو يقع اهتمام من هؤلاء الأعزاء به فيدرك فى خاطره النسبة الجمعية ويطالع فى باطنه المعنى الانجذابى، وهو ما لا يمكن أن يتيسر بفترات من الرياضة والمجاهدة وأساس الارتباط بصحبة أولئك الأعزاء إدراك هذه النسبة؛ فكل من توجد به هذه النسبة يخفون إلى إدراك صحبته ، وكل من لا تدرك فيه هذه النسبة يعرضون عن صحبته ، ومن الأنفاس القدسية لأحد هؤلاء الأعزاء هذه الرباعية التى نوردها هنا على سبيل التيمن والتبرك :

(رباعية)

كل من جالسته ولم يحدث لك جمع قلبى

ولم يفارقك عناء مائك وطينك

فتورع عن مصاحبته واهرب منه

فإذا لم تفعل فارقتك روح الأعزاء

(ألحقنا الله سبحانه بالصالحين ووفقنا بالصالحات)

(وقال قدس سره)

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت

لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

النضخ رش الماء من الباب الثانى ، الثرى هو التراب الرطب ، الانتعاش الانبعاث، وضمير نضحوا يعود على الندمان فى البيت السابق والألف واللام فى الروح والجسم بدل من المضاف إليه أى لعادت إلى الميت روحه وانتعش جسمه ، يقول : لو رش الندمان رشحةً من تلك المدامة على ثرى قبر ميت فإن الروح التى فارقته تعود إلى جسمه وينتعش الجسم ويهتز بعد موته بسبب عودة الروح إليه.

(رباعية)

يعجز العاشق عن تجنب الخمر

خاصة الخمر التى تثير العشق وتهيجه

وكل من تُلْقى جرعة منها على جسده

حلت الروح فيه فانبعث من لحده

(لامعة) : الحياة قسمان : الحياة الحسية الحيوانية المشتركة بين كافة الأحياء من الإنسان وغيره ، والحياة الحقيقية الروحانية المختصة بخواص أفراد الإنسان وهذه على ثلاث درجات ؛ (الأولى): الحياة بالعلم والمعرفة من الموت بالجهل وعدم المعرفة قال الله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) ، وقال بعضهم أو من كان ميتًا بالجهل فأحييناه بالعلم ؛ لأن القلب يعرف الحق بواسطة العلم ويتحرك فى طلبه ، والعلم والحركة من خواص الحياة كما أن الجهل والسكون من خواص الموت .

(رباعية)

العلم هو الحياة الدائمة للعلماء

فافتح عينك وهلم إلى نبع العلم

ذاك النبع الذى شرب منه الخضر

ماء الخلود (وآتيناه من لدنا علمًا)

(الثانية) : حياة القلب بجمع الهمة فى التوجه إلى جناب الحق سبحانه ، وقصد سلوك طريقه من موت التفرقة ، وهذا الجمع يؤدى إلى الحياة الحقيقية الأبدية بل هى عين الحياة ، كما أن التفرقة وهى توزع الخاطر بسبب تعلق النفس بالمحبوبات المتنوعة والمشتهيات المختلفة ، وكلها أموات ، هذه التفرقة موت والتعلق بالأموات هو عين الموت.

(رباعية)

كل شىء فى الحياة خلا الحى الجليل

ميت فلا تكن بسبب عشق هذا الميت بالذليل

على موتك موت ذلك دليل :

الجنس إلى الجنس كما قيل يميل

(الثالثة) : الحياة بوجود حضرة الحق سبحانه ووجدانه من موت فقده وعدم وجوده ، بمعنى أن تفنى فى بقاء الحق سبحانه وتبقى ببقائه وتحيا بحياته ، وتعلم أن كل حياة ليست به موت وكل حرارة ليست منه برود.

(رباعية)

طالما لم تقتلع قلبك من وجودك

ولم تكن عبداً مقيداً بذات الله

ولو فرضنا أنك حياة والحياة بك حية

فأنت ميت ما لم تكن حيًا بالله

إذن فيمكن أن يكون مراد الناظم – قدس سره – هو إذا أبلغ نور من أنوار المحبة الذاتية وأثر من آثارها إلى من إدركه موت الجهل أو موت التفرقة أو موت فقد الله وعدم وجوده فإنه يعود إليه روح العلم أو روح جمع الهمة أو روح الحق سبحانه ووجدانه ، وينتعش جسمه بهذه الروح ويقوم بالشكر على هذه الحياة التى حصلت له بسبب عودة تلك الروح بصرف تلك الحياة فيما وهبه الحق تعالى لها .

(رباعية)

حيثما يثير الحبيب مجلس الوصل

وحتى يهرق فى كأسى جرعة السرور

تشبث روحى بيد الأمل فى خاصرته

وينبعث جسمى وقد عقد وسطه بحزام خدمته

(وقال قدس سره)

ولو طرحـــوا فى فىء حـــائط كــرمـــهـــا

ليـــلاً وقـــد أشـــفى لفـــارقـــه الســـقـــيم

طرحـه طرحًـا ألقـاه من البـاب الرابع ، الفىء مـا بعـد الزوال من الـظل ، وحـكى أبو عبيدة عن رؤبة : كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فـهو فىء وظل، ومـا لم تكن عليـه الشـمس فـهو ظل ، والحـائط هو الجدار، إعتل أى مرض فهو عليل أشفى المريض على الموت أى أشرف. السقام المرض وكذلك السُقْم وهما نعتان مثل الحُزن والحَزَن ، يقول : ولو أسقطوا فى ظل الجدار المحيط بكرم المدامة مريضًا مشرفًا على الهلاك فـلابد أن يـفارق فى ظل ذاك الجـدار ضـعـف السقم والمرض جسد ذاك العليل.

(رباعية)

تســيـر خـمـر العــشق فى الســوق رائـجـة

ويمضى الحـــزن من رؤيتـــهـــا مـــشـــتـــريًا

وفى ظل حـائط الكرم التى منـها هذه الخـمـر

يزول مـــرض الموت مـن جـــســـد العلـيل

المحبة الذاتية هو عُصارة فواكه علومهم وخلاصة ثمرات معارفهم ، والمراد بالحـائط هو وجودهم الجـسمـانى وصـورتهم الهيـولانية باعتـبار إحـاطتها واشتمالـها على الكرم المذكور ، ومنع الأغيار من الوصـول إلى

قلوبهم (يعنى) لو أبلغوا إلى حمى حماية العارفين الواصلين وظل عناية الكاملين المكملين – الذى يبرىء كعيسى مائة مريض فى نفس واحدة بل ينفخ الحياة فى ألف ميت فى لحظة واحدة – مريضًا اقترب إلى سقم الجهالة وعلة البطالة ولو بطل فيه الاستعداد الفطرى للحياة بالحياة الطيبة للمحبة الذاتية فلا ريب أن يزول عنه ذاك السقم، ويصل من تلك العلة إلى الشفاء العاجل بيمن صحبته أولئك العظام وبركة ملازمتهم.

(رباعية)

الشـيخ الذى كـان عـمله هـو بيع الخـمـر

اسلك الطريـق صـوب حـرم مـحـفل خلده

فـإذا لم تجـد فى حـرمـه مـجلسًـا

فـأوجـد لنـفـسك مكانًا فـى ظل جـداره

(رباعية)

السـالكـون لطريـق العـشـق برجـولة

كل منهم فى الإشـفـاء مـسـيح ثان

حـيـثـمـا ينظـرون بنظر اللطف والرحـمـة

يزيلـون فى لحظة مـرضًـا أزمن مـائة عـام

(وقال قدس سره)

ولو قــربوا من حــانهــا مُـقْــعــداً مــشى

ويـنـطق من ذكـــرى مـــذاقــتـــهــا الـبـكم

التقريب هو الإدناء ، والمقعد اسم مفعول من الاقعاد هو العاجز عن المشي ، والذكرى هو التذكر من الباب الأول ، والذوق والذواق والمذاق والمذاقة هو التذوق من الباب الأول، والبكم جمع أبكم وهو الذى لاينطق. يقول : إذا قرب إلى حانة تلك الخمر من عجز عن المشى لمشى ، ولو ذكر مذاق تلك الخمرة الصافية أبكم انعقد لسانه لجرى لسانه بالكلام

(رباعية)

أروم تلك الخمر التى إن هوى قربها سالك عاجز

قـــويـت قـــدمــــاه عـلى الســـيـــر

ولـو تخــــيـل أبكـم مـــــذاقـــــهـــــا

لانفــتـح عن لســانـه المعــقــود عـــقـــدته

يمكن أن يكون مراد الناظم – قدس سره – أنه لو قرب إلى كُلاَّب الشوق وأنشوطة إرادة حرم صحبة الكاملين المكملين الذى هو حانة العشق ومجلس شراب المحبة مُقْعَدٌ لا يستطيع بعون سعيه واجتهاده أن يخرج من سفل الوجود ومضيق عبادة الذات فإنه يلقى بإمداد تربية الشيخ المكمل قوة السلوك، ومكنه السير فيطأ بخطوات الهمة رأس الدنيا

والآخـرة ، وبحكم (خطوتين وقـد وصلت) يخف إلى منصـة الوصـال وبلاط الاتصـال، وإذا ذكـر غـافل ذاك الشـراب الذى يشـرب من كـأس المحبة فى مجالس القدس ويذاق مذاقه فى مـحافل الأنس، وهذا الغافل فى بيان الحقائق أبكم وفى كشف الدقائق غير منطلق اللسان أكثر من العاجزين عن البيان لتكلم ببغاء ناطقته ولا نفتح لسانه بإظهار أسرار العرفان .

(رباعية)

حـين يخـــــرج ثـمل الـراح من دار المـدام

وينـتـــشـــر نـشـــره الطـيب إلى الـرياض

يتـــبـــخـــتــر الـســرو وهـو ثابت بمكـانه

ويتكلم كـذاك الـســوسن الذى بغـيـر لسـان

(وقـال قـدس سـره)

ولو عـــبـقت فى الشــرق أنفـاس طيـبـــهـا

وفى الـغــــرب مـــزكـــوم لعـــاد له الـشم

عبق به الطيب الكسر أى لزق بـه عبـقًا بالتـحـريك، وعبـاقـية مـثل ثمـانيـة، يقـول إذا فـاح الريح الطـيب لتلك الخـمـر فى الشـرق وهو مطلع الأنوار ومنشـأ الظهـور والإظهـار بينمـا كـان فى الغـرب مـوطن البطون

ومقام الخفاء والكمون مزكوم محروم من إدراك كل مشموم؛ فلا مناص من أن تعود إليه قوة الشم وتتعطر باستنشاق رائحة تلك الراح.

(رباعية)

تستعيد الخمر من العدم الجافل الروح

وتعيد الراح سعادة القلب إلى الغارق بالهم

وإذا أبلغت من الشرق ريحها إلى الغرب

أعادت للمزكومين قوة الشم

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - أنه إذا هبَّت من مشرق الذات الأحدية وهو مطلع الأقمار والشموس للأرواح والنفوس روائح الإرادة الأزلية وفوائح المحبة المبدئية، وكان فى مغرب الأبدان العنصرية للأفراد والأشخاص البشرية وهو محل استتار أنوار تلك الشموس والأقمار مزكوم محروم؛ اختلت فيه مشام ذوقه وإدراكه بواسطة استيلاء برودة هواء النفس وكثافة بحار الطبيعة فإن سرعة سريان تلك الروائح وشدة نفوذ تلك الفوائح تفتح مشام ذوقه وإدراكه وتبلغه استشمام نفحات (إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن)

(رباعية)

رياح السحر التى شقت جيب الياسمين

فتحت نافجة منعمات الروض

إني لأفتدي بروحي هذه الرياح التي حملت

إليّ النفَس التي وجدها النبي من جانب اليمن

(وقال قدس سره)

ولوخضبت من كاسها كف لامس

لما ضل في ليل وفي يده النجم

الخضاب ما يختضب به وقد خضبت الشيء أخضبه خضبًا ، اللمس لمس باليد وقد لمسه يلمسه معًا بالضم والكسر . يقول : ولو خضب من انعكاس أنوار كأس تلك المدامة كف لامسها فلا ضلَّ في أي ليلة ظلمانية حالما يكون بيده من عكس تلك الكأس نجم نوراني .

(رباعية)

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم – قدس سره – أنه لوتخضبت بانعكاس الأنوار واقتباس الآثار لكأس شراب المحبة الذاتية، وهي الحقيقة المحمدية والروح الأحمدية كما مر تحقيقها في شرح بيت (لها البدر كأس وهي شمس يديرها)، لو تخضبت يد إرادة مقبل وكف كفاية عارف دخل بحسن اجتهاده وقوة استعداده معرض مساس تلك الكأس لما فضلَّ في ظلمات الاحتجاب بالحجب الظلمانية الطبيعية ، طالما كان بيده من تلك الأنوار المنعكسة والآثار المقتبسة نجم من أفق الكرامة طالع ونور هداية (وبالنجم هم يهتدون) منه لامع :

(رباعية)

كل جنس كان للعاشق تليد أو طريف

فهو مرتهن بالراح فى حانة العشق

أنى يضل فى الليل المدلهم الطريق

من بكفه من قدح شمع الهداية نور ؟

(وقال قدس سره)

ولو جليت سراً على أكمه غدا

بصيراً ومن راووقها تسمع الصم

جليت على البناء للمفعول أى أظهرت وكشفت ، راق الشراب يروق روقًا أى صفا وروقته أنا ترويقًا والراووق هو المصفى ، يقول: لو أظهرت المدامة المذكورة ظهوراً مستوراً عن الأغيار على عين من ولد أعمى وتجلت إلى عماه الخالد فلابد أن تتنور عينه ويحتظى بسعادة البصر ، ومن صوت تقطر تلك المدامة فى تصفيتها تنجو - إذن - الأصم من علة الصمم ويبلغ سعادة السمع.

(رباعية)

حين تكون للخمر صفة التجلى

تلقى مئات من العيون العمياء نوراً

وإذا بلغ صوت تصفيتها

إلى أذن أصم نجا من الصمم

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس الله سره ، - أنه لو أجلى شراب المحبة الذاتية على باطن من ولد أعمى وسره ولم تقع عين شهوده على وجه الحق والجمال المطلق منذ أن ولدته الآباء العلوية والأمهات السفلية فلابد أن ينار بصر بصيرته ويتمكن من شهود الوحدة فى الكثرة ، ولا يرى فى المجالى الخلقية غير وجه الحق ، ولا يشاهد فى المراتب التقييدية سوى الجمال المطلق وتنفتح الأذن الواعية للحديث وهى (كنت له سمعًا فبى يسمع) للأصم الأصلى وغير السامع الجبلىّ بصدى صوت حيث إمرار شراب المحبة على راووق الرياضة الشاقة والمجاهدات الصادقة حتى يتصفى من كدر التعلق بما سوى حضرة الذات ، ويهتز من استماع الأسرار الروحانية والأخبار الربانية .

(رباعية)

عشقك القديم جدّد نظرى وسمعى

حتى لا أخلو هنيهة منك

فى كل ما أنظر أرى جمالك

ومن كل من يتحدث أسمع كلامك

(رباعية)

جاء العشق وفتح علىّ باب الدولة

إلا ما انغلق قط هذا الباب على أحد

فـدق لكل سـامـعـة طـبل (بى يسـمع)

ومنح كـذلك البـاصـرة لمعـة (بى يبـصـر)

(وقال قدس سره)

ولو أن ركـبـا يممـوا تراب أرضـهـا

وفى الـركب مـلسـوع لما ضـرّه الـسم

يقال مر بنا راكب إذا كان على بعير خاصة ، والركب أصحاب الإبل دون الدواب، يممته برمحى تيميمًا أى قصدته دون سواه ، لسعته الحية عضته من الباب الرابع، ضرّه ضراً ومضرة أضره من الباب الأول، والسم القاتل بالضم والفتح ، يقول لو إن جماعة من راكبى الإبل قصدت لثم أرض توجد بها هذه المدامة وفيهم ملسوع مصاب بالسم فما ضره ذاك السم وما ذاق شربة الهلاك.

(رباعية)

الروضة التى يُغْـرس كرمـها بقـصـد الخمـر

ينبت من غـشـائها وقـشـهـا زهـر الرحـمـة

ولـو مـر ملسـوع عـلـى ترابـهـا

لـكـان تـرابـهـا تـريـاقـا

ويمكن أن يكون مـراد الشـيخ الناظـم - قـدس سـره - هـو لو أن جمعًا من العظام المبختين وعلى بخاتى الشوق راكبين قصدوا زيارة ترابى الطبع والذى كانت أرض استـعداده مـغـرس كـرم تلك الخمـر

الصافية ، وكان فى سلك نظم تلك الجماعة مريض لسعته حية النفس والهوى وذاق سم أفعى حب الدنيا يتنفس معهم أنفاس المرافقة ويخطو بقدم الموافقة فلا ضره ذاك السم وما آذاه ؛ لأن صحبة هذه الطائفة للسوعى أفعى النفس والهوى ولمسمومى سم محبة الدنيا ترياق أكبر بل أنجع من الترياق الأكبر وأنفع .

(رباعية)

القوم الذين قبلة همتهم هى الحق

لاتشح بوجهك عن خدمتهم ما دام لك وجه

وتمنح من ذاق من الدهر سم الآفات

صحبتهم خاصية الترياق

(وقال قدس سره)

ولو رسم الراقى حروف اسمها على

جبين مصاب جن أبرأه الرسم

رسم على كذا وكذا أى كتب ، رقاه رقية ورقيًا عوَّذه من الباب الثانى أصابته المصيبة بلغته المصيبة ، جن الرجل جنونا وأجنه الله فهو مجنون ولا يقال مجن به ، يقول لو نقش كاتب تعويذ حروف تلك المدامة الطيبة على جبهة مجنون لصار عاقلاً وحكيماً .

(رباعية)

اشرب من تلك الصهباء التى تسعد الطبع

ويزيد منها الأدراك والعقل آلافا

ولو نقشت على جبهة مجنون

من اسمها حرفًا لصار من العقلاء

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس الله سره - هو أن العارف الواصل والمرشد الكامل والعالم الذى يرقى مجنونى النفس والهوى والقارىء لتعويذة مصروعى محبة الدنيا لو رقم تفاصيل سمات شراب المحبة الذاتية وعلاماتها بقلم النصيحة والإرشاد على جبين باطنهم وهو صحيفة خيال جريدة الأمانى والآمال فلابد أن يخلصهم من علة ذاك الصرع وآفة ذاك الجنون ويحفظهم من غوائلهما ويؤمنهم منها .

(رباعية)

القوم الذين ارتبطوا بالعشق والولاء

وأوصدوا دونهم باب التزوير والرياء

جلسوا فى زاوية الصدق والصفاء

وتخلصوا من صراع الحرص والاشتهاء

(وقال قدس سره)

وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها

لأسكر من تحت اللواء ذلك الرقم

يقول لو رقم اسم تلك المدامة الهنية المرية وصفتها وعلامتها وسمتها بأعلى علم جيش كثيف فإن ذاك الرقم يسكر الجالسين تحت ظلال هذا العلم وينجيهم من ظلمات مضيق إفاقتهم.

(رباعية)

اطلب تلك الخمر التى إن وضعت

على كف الملك كأسًا منها لخلع عن رأسه تاج الجاه

ولو رقمت اسمها فوق لواء الجيش

لسكر جميع الجيش بأسفل ذاك اللواء .

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم – قدس سره – بالجيش جماعة المريدين وجمع المستفيدين ، والمراد بلواء الجيش المرشد الكامل المشتهر كالعلم فى علو المقام والهداية إلى كل مقصد ومرام بين تلك الطائفة الاشتهار التام ؛ يعنى لو رقم الكاتب الحقيقى لـ (وربك الأكرم الذى علم بالقلم) على لوح الجهة الروحانية للمرشد الكامل المتفوقة على جهته الجسمانية سمات شراب المحبة الذاتية وصفاتها بالتجليات الذاتية ، الاختصاصية فلابد أن يُسكر هذا الرقم ويخلص من وحشة الوجود من هم تحت إحاطة ذاك الكامل وظل تربيته ، ومن هم بعلاقة الإرادة ورابطة المناسبة فى استفاضة الكمالات والاستفادة بالمقامات والحالات صادقون مخلصون.

(رباعية)

الحبيب الذى تفنى عن نفسك حين تراه

خير من ذاك الذى تتسفل تحت قدمه

فإذا لم تشرب الخمر كأسه اللَّعْلِيّة مَرّةً

سكرت من دلال عينه السكرى

(وقال قدس سره)

تهـــذب أخــلاق النـدامى فـيــهـتــدى

بهـــا لطـريق العـــزم من لا لـه عـــزم

ويكـرم من لم يـعــرف الجـود كــفــه

ويـحلـم عـن الـغـــيظ مـن لا له حِلـم

الخلق هو الهيئة الراسخة فى النفس التى تصير بسهولة مبدأ صدور الأفعال الحسنة أو السيئة ، والتهذيب تبديل الأخلاق السيئة إلى الحسنة ، والعزم هو التوجه بجميع القوى الظاهرية والباطنية إلى جانب المطلوب ، كرم كرمًا أكرم وتكرم وهو كريم وحلم حلمًا تحمل وهو حليم وكلاهما من الباب السادس ، جاد عليه بماله جوداً أى تكرم عليه بماله من الباب الأول ، يقول تنقذ تلك المدامة وشربها من ذمائم الصفات وتبلغ محامد الأخلاق ندماء المحفل وقرناء المجلس من أهل القلوب فيهتدى إلى العزم الصادق من عرج قدم مركب إرادته من البداية ووهن عنان عزيمته.

(رباعية)

تحـــسن المـدامــــة طبع الأشــــرار

وتطـهــر الخـــمــر ســيــرة الأدنيــاء

وترشد إلى العزم الصادق الطلاب فى طلبهم المطلوب المطلق

وكذلك بسبب تلك المدامة وشربها يخطو فى دائرة الكرم غير الكريم الذى عجزت يده عن البذل والسخاء وجهلت كفه بحر الجود والعطاء ، وكذلك لنفس ذاك السبب يطأ بقدم الحلم - حين تعصف بالهجوم عاصفة الغضب - بذاك المتهور غير المتصف بالحلم والمعروف بالتحمل

(رباعية)

المُبَـــجِل الذى يكـنز الدراهم لـيله ونهـــاره

يتــعلم من جــودة الخــمــر الجــود والكرم

ومن يطـفيء مــا بالخــمــر نـار غــضـبـه

لاتـزيد فـــــيـــــه نائـرة الـظلـم والغـبن

(لامعة): أعلم أن تهذيب الأخلاق وتحسينها إما أن يكون بحسن العادة على نحو أن تنتقش النفس بنقوش آثار الخير بواسطة حسن تربية الأبرار وملازمة صحبة الأخيار وترتسم فيها وترسخ هيئة الأخلاق الحسنة بواسطة تكرار المشاهدة ، وتستأصل منها عروق الصفات الذميمة والأخلاق السيئة ، وإما بنور العقل الذى يميز بين الخير والشر ويهتدى إلى حسن الأخلاق ، وتبدو إرادتها فى قلبه وترتسم بتكرار تصورها وممارسة العمل بموجبها هيئات عدة مرضية فى النفس ، وإما بنور الإيمان المصدق بسبب الإيمان بالآخرة فى ترتيب الثواب على الأخلاق الحسنة ، ووجوب العقاب على الأخلاق السيئة ، ويحرص على الخير وينزجر عن الشر فتحصل فى النفس بواسطة المواظبة على

اكتساب الخير واجتناب الشر الملكات الحميدة وتزول الصفات الذميمة ، وإما بنور التوحيد حين يصير قلب السالك بعد أن يفنيه عن نفسه تجلى الذات ويبقيه بنفسه عرش الذات وتغدو نفسه مظهر الصفات وتجرى من بحر الذات جداول الصفات والنعوت في مجارى صفاته ويتحقق له التخلق بالأخلاق الإلهية ، وليس أعلى من هذا مرتبة وكل من وصل هذا المقام لقى منزلة ما بعدها منزلة ، وكمال هذه المنزلة لرسول (الله صلى الله عليه وسلم) الذى خوطب بخطاب (وإنك لعلى خلق عظيم)، ومن بعده بحسب المناسبة وقدر القرب خواص الأمة فلهم نصيب من هذه الكرامة ، والفرق بين هذا المتخلق وسائر المتخلقين هو أن نصيبهم من حقائق الأخلاق لا يعدو الآثار والرسوم ولا يتخلقون إلا ببعض ، أما المتخلق الموحد فبجميع حقائق الأخلاق متخلق ومتصف .

(رباعية)

عشقك صهرنى بحرارة الشوق

وأخلانى من جملة صفاتى

ثم صنع لى خلعة من صفاته

وأكرمنى بهذه الخلعة الكريمة

وهذا ما فعل الشيخ الناظم - قدس سره - بإشارته فى هذه الأبيات إلى هذه المرتبة الأخيرة فى قوله :

(وقال قدس سره)

ولو نال فدم القوام لثم فدامها

لأكسبه معنى شمائلها اللثم

نال خيراً ينال نيلاً أى أصحاب وأصله نيل ينيل مثل تعب يتعب ، ورجل فدم أى غبى تقيل ، والفدام ما يوضع فى فم الإبريق ليصفى به ما فيه ، والفدام بالفتح والتشديد مثله ، واللثم القبلة وقد لثمت فاها بالكسر إذا قبلتها وربما جاء بالفتح ، والشمال الخلق والجمع الشمائل كذا فى الصحاح ، الفدم فاعل نال واللثم مفعوله ويجوز العكس أيضًا ، وأكسب يقتضى مفعولين فأولهما ضمير الفدم وثانيهما معنى شمائلها ، يقول : لو وصل من اشتهر بين قومه بالبلادة والجهل والغباء وثقل الروح إلى تقبيل ما يوضع فى فم إبريق الخمر وحلقها ليمر من خلاله الخمر فيفصل صافيها من ثمالها فإن تقبيل هذا الرجل يصل به إلى الأخلاق الحميدة والأوصاف المرضية التى يقتضيها شربها ، وهى ثمرة المداومة عليها كالجود والسخاء والحلم والحياء وغيرها .

(رباعية)

ذاك الساذج الذى يسلك طريق الأذكياء

ويمضى جهلاً فى سلوك التائبين

إذا لثم فم إبريق الخمر المغطى

اكتسب خاصية شاربى الخمر وطبعهم

(رباعية)

ذاك الساذج الذى جعل طالعه المقبل

منزله تراب باب حانتنا

حين لثم بشفته شفة الإبريق الطينية

سال من قلب الإبريق على قلبه خمر

ويمكن أن يكون المراد بقدم القوم المريد الذى كان بفطرته استعداد المعرفة وقابلية المحبة ، وبناءً على هذا الاستعداد والقابلية ينتسب إلى القوم لكن تلك المحبة والمعرفة لم تبلغ بعد الفعل من القوة ولم تنته من البطون إلى الظهور ؛ ولهذا السبب يتسم بالجهل والبلادة ، والمراد بالفدام هو الضعف وهو كمامة إبريق المحبة وغطاء سر المعرفة وما لا يليق باستعداده فيبلغه إلى ما يليق به ويحفظه عما لا يليق ، إذن فحاصل المعنى أنه إذا وصل مستعد لم تظهر به إذ ذاك أسرار المحبة وأنوار المعرفة فيه إلى تقبيل قدم العارف الكامل والمحب الواصل فلابد أن يحدث له بيمن خدمة ذاك الكامل وبركة صحبته كل ما كان فى استعداده من أسرار المحبة وأنوار المعرفة.

(رباعية)

أيها القلب قلل من حديثك مع الغافلين والأنجاس

وخلص يديك من رسم ذوى الأهواء الجامحة

إن أردت الخـــــــــــــلاص مـن لـوثـك

فـحـذار أن تـعـرض عن مـتـابعـة الأطهـار

(وقال قدس سره)

يقــولون لى صـــفـهـــا فـــأنت بوصــفـهـــا

خـبـيـر ، أجـل عندى بأوصـــافــهـــا علم

صـــــفــــــاء ولا مـــــــاء ولطـف ولا هوى

ونـور ولا نـار وروح ولا جـــــــــــــسـم

أجل بمعنى نعم ، و(لا) فى قوله (ولا ماء) وأخواته هى المشابهة لليس وخبرها محذوف أى المدامة صفاء وليس هناك ماء فلا يكون ذلك الصفاء صفاء الماء وهى لطف وليس هناك هواء فلا يكون ذلك اللطف لطف الهواء ، وكذلك هى نور وليس هناك نار فلا يكون ذلك النور نور النار وهى روح وليس هناك جسم فلا يكون روحًا متعلقًا بالجسم ، والهواء بالمد قصر لضرورة الشعر . يقول :

يقول لى الطلاب المستعدون والمريدون المسترشدون أنكر لنا وصفًا عديدًا خاصًا لهذه المدامة ، التى شرحت فى الأبيات السابقة خواصها ونظمت بالماس الفصاحة جوهرًا أوصافها حتى تسكن نار عطشنا وتصل بفهمنا إلى حد إدراكها وأنت العليم بحقيقة أوصافها والقدير على بيانها كما ينبغى؛ فقلت أجل فأنا شيخ حانة العشق والولاء وأمير خمار

الفقر والفناء عليم بخواص تلك المدامة وخبير بأوصافها وليس لي شغل شاغل إلا وصفها ولا فكر مستديم إلا شرح أوصافها .

(رباعية)

يصير كل بدني أذنين حين أسمع الكلام في الخمر

ولا أنصت إلى حديث لا يكون في وصفها

أعرف جيداً أوصاف الخمر الصافية

وأديم القول فيها والسماع عنها

وصفة هذه الخمر أنها كلها صفاء وليس كصفاء الماء الذي يتكدر بالغبار ، وكلها لطافة ولكن ليست كلطافة الهواء الذي يتكثف بالبخار ، وكلها أيضاً نور ولكن ليس كنور النار التي تمتزج بظلمة دخانها ، وكلها روح ولكن ليست كالروح المتعلقة بالبدن التي تتشبث ببدنها .

(رباعية)

بلطف الهواء الخمر لكنها ليست هواء

ولا يمكن تسميتها بالماء لكنها جميعاً صفاء

كلها نور لكن ليست ناراً

وهي روح لكن مستقلة عن ظلمة الجسم

(لامعة): معرفة الحقائق المجردة البسيطة باعتبار التجرد والبساطة متعذرة ؛ لأن إدراكنا لحقائق الأشياء لا يكون باعتبار الحقائق المجردة البسيطة فقط ولا باعتبار وجودنا فحسب، بل باعتبار اتصاف حقائقنا بالوجود وبتوابع الوجود كالحياة والعلم، وباعتبار ارتفاع الموانع الحائلة بين المدرك ومدركاته ؛ إذن فهذه المعرفة لا يمكن أن تتحقق من جانب المدرك بدون كثرة ، ومن القواعد المقررة عندهم أن الواحد والبسيط لا يدركه إلا الواحد والبسيط ، إذن فلا يعلم من أى شىء غير صفاتها وعوارضها لكن لا من حيث حقائقها المجردة بل من حيث أنها صفات وعوارض لذلك الشىء ؛ ولهذا يقول الشيخ الناظم – قدس سره – فى حكاية سؤال المريدين والمستفيدين (وأنت بوصفها خبير) ولا يقول (وأنت بها خبير) ، وبما أن تعذر هذه المعرفة وإدراكها بالنسبة للمريد المستفيد الذى ارتفع عنه هذا الحكم والذى يحقق له مقام (كنت سمعه وبصره) فى قرب النوافل أو مقام (إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده) فى قرب الفرائض ليست متعذرة ، فما سبق فى حكاية جواب المرشد الواصل والمحقق الكامل على لسان الشيخ الناظم – قدس سره – وهو (أجل عندى بأوصافها علم) كان بناء على ملاحظة مطابقة الجواب للسؤال وإلا فبسبب أن الحق سبحانه هو آله أدراك العبد فى قرب النوافل أو بالعكس فى قرب الفرائض فلا يمتنع إدراك الحقائق المجردة البسيطة مطلقًا بل يتعلق بمشيئته.

(رباعية)

يا من أضفت إلى نفسك العلم والعمل

كان علملك وعملك كله نقصًا وخللاً

بما أن الحق بك وأنت به عالم

فكل نكتة مشكلة تصبح محلولة

وفى قول الشيخ الناظم - قدس سره - (وهو أجل عندى بأوصافها علم) إشارة إلى أنه يجوز للمرشد الكامل الذى تخلص من قيد النفس والهوى وتحرر من حبالة العجب والرياء ، بل يجب عليه بحكم (وأما بنعمة ربك فحدث) أن يعرض فضله وكماله ويجلى حسنه وجماله للطلاب المستعدين والمريدين المسترشدين من أجل تأكيد علامة الإرادة التى هى واسطة كل سؤدد وسعادة ، بل إنه يعلم بنفسه أن ذلك فى الحقيقة هما كمال حضرة ذى الجلال والافضال وكماله اللذان انعكاسه على مرآة وجوده ووجد حقيقته متصفة بهما ؛ إذن فعدّ ذاك الكمال وعرض ذاك الجمال فى الحقيقة عد كمال حضرة الحق وعرض جماله سبحانه ما أعلى شأنه وما أجلى برهانه.

(رباعية)

يحدث حينًا أن يقع نظرى على جانبى

وحتى لا تظن أننى مستفيد من ذاتى

فـإننـى لأنظر فى طـلعـتى جـمـال الحق

وأُحـصى من نسـخـتى كـمـال الحق

(وقال قدس سره)

مـحاسن تـهدى الواصـفين لوصـفـهـا

فـيـحـسن فـيـهـا مـنهم النثـر والـنظم

هداة الطريق وهداه له وهداة إليه كلها بمعنى واحد يعنى أرشده إلى الطريق والضمير فى (لوصفها) ، و(فيها) للمدامة وجعله بعض الشارحين لمحاسن والأول أحسن ، ومحاسن مبتدأ خبره محذوف أى لها محاسن ، يقول : لهذه المدامة صفات جديرة وخواص جميلة ، تبعث الواصفين العارفين والمادحين الواقفين على وصف كمالها ونظم جوهر مدحها ونرشدهم إلى ذلك ، فيحسن فى شأن تلك المدامة من أولئك الوصّاف بسبب تلك الأوصاف اللطيفة والمعانى الشريفة أن ترتسم الكلمات المنثورة بسمة (إن من البيان لسحر) ، ويستحسن منهم لها الكلام المنظوم ينتظم فى سلك (إن من الشعر لحكمه).

(رباعية)

لما فـتحت الخـمر سـتراً عن صفـات حسنـها

دلّتْ الـوصـافـين إلى وصـفـهـا

ومع أن بـهـا بمـثل كـلامـهـم لطفًـا

إلا كثيـراً آخر من اللطف زاد فوق ذلك اللطف

(رباعية)

كل من يفتح فمه بوصف الخمر

يزيد به حسن وصفه

إن وصف كل شيء يجمل بالكلام

إلا وصف الخمر من عجب فهو الذى يزيد الكلام جمالا

(وقال قدس سره)

ويطرب من لم يدرها عند ذكرها

كمشتاق نعم كلما ذكرت نَعَم

طرب من الفرح ومن الحزن طربًا وهو طرب وطروب استخفه الجزل من الفرح والحزن من الباب الثالث ، وفى الصحاح الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور ، وأيضًا فى الصحاح نعم بضم النون اسم امرأة ، وقوله (ويطرب) الواو إما لعطف على البيت السابق أو عطف قصة على قصة كالبيت الآتى أعنى قوله (وقالوا شربت الإثم) البيت ، والضميران للمدامة أو على جملة (يحسن فيها) أو على جملة (تهدى الواصفين) وعلى التقديرين فالضميران : إما للمدامة وحينئذ لابد من تقدير ضمير عائد إلى المحاسن للربط أى عند ذكرها بها أى بتلك المحاسن ، وإما للمحاسن ولا حاجة إلى تقدير الضمير ، يقول يخف ولا يستقر من لم ير هذه المدامة ولم يذق مذاقة إدراك حقيقتها عند جرى

ذكرها على اللسان أو سماعه على لسان الآخرين كما يهتز العاشق المشتاق في زاوية البعد والفراق بذكر معشوقه ويزيد به وجده وطربه.

(رباعية)

الذي خـر به الهم يعـمـر بذكـر الخمـر

ويتـحـرر مـن قـيـد البـلاء والمحنة

ومع أن أحـدهم لا يعلم عنهـا شـيئًـا لكن إذا

سـمع اسـمهـا سـعـد لسمـاع اسـمـهـا

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - أنه لما بللت طينة الآدمي في بداية الفطرة بماء المحبـة وبذر في تربة اسـتـعـداده وقابليته بذر العشق والمحبة ، فكلما سمع بلسان العبارة أو لغة الإشارة سراً من أسرار المحبة أو رمزًا من رموز العشق والمودة فأنه يتذكر ذاك السر الأصلي والمعنى الجِبِلِّي مع أنه كان لفترات طويلة غافلاً بسبب التـعـشـقـات الصـورية والمعنوية عن ذاك السـر وذاهلاً عن ذاك المعنى بواسطة التعلقات الدينية والدنيوية.

(رباعية)

كلـمـا ذاع صـيـت من ذاك الحـسـن

الزائـد عن الحـد في مـدينة وجـودي

تجـدد مـائة ألـم قـديم في قـلبـي

واسـتـجـد مـائة كي عـتـيق على كـبـدي

(وقال قدس سره)

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما

شربت التى فى تركها عندى الإثم

الإثم الذنب وقد تسمى الخمر إنما قال (شربت الإثم حتى ضل عقلى) كذلك الإثم يذهب بالعقول

يقول : قال القاصرون عن فهم المعانى فى ضمن الصورة والعاجزون عن إدراك الحقائق فى لباس المجاز : إن المراد بتلك المدامة التى اعترفت فى صدر القصيدة بشربها وسقت الأخبار فى سائر أبياتها عن خواصها وآثارها هى الخمر ، التى يعبر عنها فى اللغة بالإثم ، يسمى فى الشريعة شاربها آثماً أى المُدَام الصورى والخمر العنبى الذى شربه نتيجة الضلال ويستحق شاربها العذاب والنكال فينادى هؤلاء بالردع عنها ومنعها كلا وحاشا أن أشرب قط من تلك الخمر أو استريح لشربها ؛ بل إنى شربت الخمر من كأس المحبة وجهدت فى المداومة على شربها وترك هذا الشراب عندى ذنب وتارك شربه بعيد عن مشرب العقلاء الأذكياء .

(رباعية)

مقاساة التعب فى غير طريق العشق إثم

والسير فى غير شارع الحانة إثم

قلت إن شـــرب الخـــمـــر حـــرام وحـــاشـــا

إن عـــدم شـــرب الخـــمـــر فى مـــذهبـنا إثم

(وقـال قـدس سـره)

هنيـــئًـــا لأهـل الديـر كم سكـروا بهـــا

ومـــا شـــربوا مـنهـــا ولكنـهم همّـــوا

هنؤ الطعام يهنؤ هناءً وهناءة وهو هنىء أى طاب ومرأ الطعام من الباب السادس، والدير معبد النصارى واصطلحوا به فى مصطلحات الصوفية على العالم الإنسانى ، هممت بالشىء أهم همًا إذا أردته قوله هنيئًا صفة مصدر محذوف أى ليشرب أهل الدير شربًا هنيئًا لهم ، يقـول : هنـيئًا خمـر المحـبة الذاتية للمتوطنين المتوسطى الحال فى دير العالم الإنسانى الذين سكروا كثيرا بشرب هذه الخمر خلف الحجب الأفعالية والصفاتية واستراحوا قليلاً من ثقل عبء الوجود والحياة بينما لم يشربوا من تلك الخمر شربة كالذين انتهوا من شربها بل قصدوا وهموا على شربها .

(رباعية)

أولئك الذين اخضعوا أعناقهم إلى إبريق الخمر

فنوا عن أنفسهم ولـم يتناولوا منهـا كـأسًـا

لم يتجـرعـوا منهـا جـرعـة لكن لما خطرت

فكرة الخـمـر على قلوبهم صـاروا سكارى

(وقال قدس سره)

وعندى منهـــا نشـــوة قـــبـل نشـــأتى

مــــعى أبدًا تبــــقى وإن بلى العظم

النشوة بالفتح السكر وزعم بعضهم أنه سمع فيه نشوة بالكسر ، نشأ الغلام نشأة ونشاءةً رباه من الباب الرابع ، بلى بليًا وبلاءً قدم من الباب الثالث ، ويقول عندى من تلك المدامة سكر مقدم على وجودى ونشوة قبل نشوئى فى هذا العالم ويبقى هذا السكر معى ولو بليت عظامى التى يقوم بها جسدى ويستحكم بها بدنى .

(رباعية)

عَلَىَّ من وجــــودى عـــلامــــة الفناء

وإنما عـــشـــقك أذاقنى خـــمـــر الفناء

اســترحت مـن هذه الخمـر من وجـودى

ولـــو بـــلـــيـــت فـــىّ عـــظـــامـــى

(وقال قدس سره)

عليك بها صرفًا وإن شئت مزجها

فــعـــدلك عن ظلم الحبيب هو الظُلمُ

شراب صرف بحت غير ممزوج ، مزج الشراب مزجًا خلط الشراب من الباب الأول ، العدل ههنا بمعنى العدول عدل عن الطريق عدولاً عاد عنه من الباب الثاني ، الظلم بالفتح ماء الأسنان وبريقها ، ظلمه وظَلَمْا جار عليه من الباب الثاني .

يقول عليك أن تسعى إلى أن تشرب تلك المدامة صرفًا ، وإذا لم تستطع شربها خالصةً صرفًا وأردت مزجها برشحة الزلال التى ترتضعها من شفتي معشوقك وأسنانه فافعل ولا تلق بالعدول عن ذلك بنفسك فى ظلمات الظلم والجور .

(رباعية)

كأس الخمر الصافية ولو كانت يا شارب الخمر

مُـــرةً فـــلا تدع الخـــمـــر لمرارتهـــا

وإذا لم تقسو على مرارتها فالأجدر بك

أن تحلى مذاقها بحلاوة شفتى حبيبك

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - هو : عليك أيها المحب العاشق والمريد الصادق أن تحب وتعشق حضرة الذات الرفيعة الدرجات بلا نظر إلى صفات جمالها أو جلالها ومطالعة صدور آثارها وأفعالها لأن المحبة التى لا تتحرك من محض الذات ، وتمتزج بشوائب الأعراض والأعواض إنما تتعلق بهذه الأعراض فى الحقيقة لا بالذات بل بأمر من متعلقات الذات ، وأى غبن أفحش وخسارة أوحش

من أن تترك محبوبك الأصلى ومطلوبك الحقيقى وتتجه إلى المحبوبين الطفيليين والمطالب المجازية ؟

(رباعية)

إلى متى أيها القلب ترضى بحرق الحرمان

وتنأى بنفسك عن حريم الوصل

إن ستر المعشوق وجهه بنقابه

فتعالَ وتَعشَّقْ نقابه

وإذا لم يكن استعدادك بظهور المحبة الذاتية وافيًا وشريك العذب من كدر التعلق بما وراء الذات صافيًا ، فلا تعدل عن محبة الأسماء والصفات فهى من وجه عين الذات ولا تعللّ باطنك بشائبة التعلق بأفعالها وآثارها .

(رباعية)

ذاك القمر الذى رأس ماله الوفاء والحب

وأوج فلك الحسن أدنى درجاته

انظر إلى شمس وجهه وإذا لم تستطع ذاك

فانظر إلى ضفيرته السوداء التى هى جارته

(وقال قدس سره)

ودونكهـا فى الحـان واسـتـجلهـا به

على نغـم الألحـان فـهى بهـا غـنم

دونكها بمعنى خذها والاستجلاء طلب الظهور والجلاء والنغم جمع نغمة وهى صوت لابث زمانًا واللحن ما يتركب من النغم ، فمعنى قوله على نغم الألحان على نغم يتركب منها الألحان ، غنم المال غنمًا اغتنمه من الباب الثالث والغنم ههنا بمعنى الغنيمة ، وأول الضميرين المجرورين للحان والثانى للألحان ، وما عداهما للمدامة. يقول : خذ تلك المدامة فى حانة السكارى والثمالى واطلب اجتلاءها فى تلك الحانة فى مجتلى الكأس والزجاجة على النغمات العذبة والألحان الخالبة لأن شربها مع طيب الألحان وحسن النغم مرغوب ومغتنم .

(رباعية)

اجلس برجـولة فـى ركن الحـانـة

وانظر جلوة الخمر من الكأس والزجاجة

واشرب الخمر فهى غنيمة أيها العاقل

على نغمات الناى والألحان السَّكْرى

ويمكن أن يكون مراد الشيخ الناظم - قدس سره - بالحانة مجلس الكاملين المكملين وصحبة العرفاء العارفين الذى يشرب به شراب العشق

ويباع به خمر المحبة على النغم والألحان لكل ما ينتج سماعه ذوقًا أو يبيح شوقًا من الأنفاس الشريفة لأرباب الكمال ، والإشارات اللطيفة لأصحاب المواجيد ، والأحوال ، والآيات ، والبينات القرآنية ، والكلمات المباركات للتنزلات السماوية ، والأذكار المزيلة للغفلة ، والأشعار المزيدة للحرقة ، والنغمات بالأمل ممتزجة والألحان للشوق مهيجة ، وحينئذ يكون المقصود من البيت التنبيه على أن تربية صفة المحبة وإنماء معنى الإرادة لا يُتصوران إلا في صحبة هذه الطائفة ودولة حصولها وسعادة وصولها ليس لهما طريق آخر غير مشاهدة الحال واستماع المقال لهذه الجماعة ، إذن فيجب على الطالب الصادق ألا يخلى ذيل صحبة هذه الجماعة ما ترددت فيه الروح ، وأن يغتنم خدمة هذه الفرقة وملازمتها مادام النفس منه يغدو وإليه يروح .

(رباعية)

يا من أنت بالظن والوهم مرتهن

أحق بك لو بمشرب العشاق تُفْتَتَنُ

تغدو عاشقًا إن سمعت حديثهمو

لا بل تصير العشق كله بهمو

(وقال قدس ذكره)

فما سكنت والهم يومًا بموضع

كذلك لم يسكن مع النغم الغم

سكن سكونًا استـراح وسكن الدار سكونًا وسكنى وسكنًا أقـام بالدار وكلاهما من الباب الأول ، الهم الحزن والهموم الجمع ، وقوله (ولاهم) مرفوع عطفًا على الضمير المستكن فى (سكنت) أو منصوب على أنه مفعول معه ، يقول : الخمر الصافية اجرعها والنغمة الشافية اسمعها لأن الخمر ما استراحت زمنًا فى مكان واحد مع الهموم والأحزان ، والهم ما أقام لحظة فى موضع واحد مع طيب الأنغام والألحان.

(رباعية)

أتود ألا ترى من الفلك غصة وهمًا

اسمع فى الحانة ألحانًا ونغمًا

لايجتمع معًا دور القدح ودور الزمان

كالنغم والغم لا يجتمعان فى مكان

(لامعة): كل من أصابه غم فإما لحزن من فوات مطلوب أو أصابه مكروه فو محب الذات ولا ريب يطلب ويرغب كل الصفات المتقابلة للمحبوب والأفعال والآثار المتخالفة المترتبة عليها ، إساءته هى عين الإحسان وإذلاله هو نفس إعزازه سيان لأن ليس له مراد غير مراد المحبوب ولا يتصور أمرًا يخالف مطلوب المطلوب، وكل ما يأتى فى حيز الوجود يكون لمراده موافقًا وكل ما يروح إلى كتم العدم يكون لمقصوده مطابقًا ، ومن هنا فلا يقع له فوات مطلوب أو إصابه بمكروه إذن فلا يحيق غم بمخاطره ولا يفوق هم على هاجسه .

(رباعية)

لى زاد عـــدم الزاد فى طريق العـــشق

ولى عدل عدم العدل من سيف الهجر

ومـــادام قلبى ســعيــداً بإرادتك

فكل الأشيــاء هى طبق مـــرادى

(رباعية)

لست أنا الذى أود ســرور الحيـــاة

أو أروم ســعادة العمــر الخـــالد

قـــد أزحت فكر الرغـــائب عن قلبى

ولا أبغى غـــيـر مـــا يبتغيه قلبك

(رباعية)

لا الوهم والخيـــال حيـثمـــا أكـــون

لا الألم والملال حيـثمـــا أكـــون

أمــور الدارين بوفق مــراد قلبى

أى مجال للهم والغم حيثما أكون ؟

(رباعية)

وفى سـكرة منهـــا ولو عـــمـــر ســاعـــة

ترى الـدهر عـــبـــداً طائعًـــا ولك الحـكم

السكرة اسم مرة من السكر وعمر الرجل بالكسر يعمر عُمْرًا وعُمُرًا أى عاش زمانًا طويلاً من الباب الثالث، والمراد هـهنا بعمر ساعة مدتها ، طاعه وطاع له يطوع ويطاع طوعًا وطواعية الانقياد له من الباب الأول والرابع ، حكم بين القوم حكمًا وحَكَمًا وحكومة وهو حاكم وحكم أى قضى بين الناس من الباب الأول يقول : ولو ترى فى سكرة واحدة من هذه المدامة الهنيئة ولو بمقدار ساعة من الزمان لرأيت الزمان عبداً منقاداً لك ووجدت نفسك سيده الآمر الناهى.

(رباعية)

الأطيب لـك أن ترهن حـيـاتك لـلخـمـر

حـــتى تجـــمع وقـــتك المتـــفـــرق

إذا سكـرت نجـوت مـن قـيـــد الوجـــود

ووجـــدت كل الـزمـــان عـــبـــداً لك

(لامـعة): إذا تخلص السالك فى مقام الفناء فى الله والبقاء به بواسطة استيلاء السكر بشراب المحبة من عبء الوجود وحمل عبادة الذات واختص بشرف خلعة البقاء الحقيقى وهو (من قتله محبتى فأنا ديته) رأى تصرفات حضرة الحق سبحانه كلها مضافة إليه هو ، ووجد

كافة الموجودات مطيعة لتصرفاته هو ؛ لأن تصرفات الفانى غير مستغرقة إلا عين تصرف حضرة الحق سبحانه وتصرف الحق تصرف كامل ولكافة الموجودات شامل .

(رباعية)

أسفر المعشوق عن وجهه
ففنى وجودى فى وجوده
ولما صرته أنا كلى رأى قلبى منىّ
كل فعل وتصرف قد ظهر منه

(وقال قدس سره)

فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحيًا
ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزم

عاش عيشًا وعيشة ومعاشًا ومعيشة حيا من الباب الثانى، صحا من السكر ومن العشق صحوًا أفاق من السكر ومن العشق من الباب الأول ، مات يموت ويمات موتًا ومماتًا وميتة لحقته المنية من الباب الأول والثالث ، فاتنى الشىء خرج من يدى وفات الوقت مضى من الباب الأول، حزم حزمًا أحكم الأمر من الباب الثانى ، قوله (صاحيًا) نصب على الحال من فاعل عاش ، وقوله (سكرًا بها) نصب على أنه مفعول له لقوله لم يمت . يقول بما أن رأس مال كل سعادة هو التصرف فى الموجودات والتسلط على الكائنات، وهذا المعنى كما علمت منحصر فى

السكر ومقتصر على شرب الخمر؛ إذن فكل من آثر الإفاقة ولم يذق من تلك الخمر مذاقةً ما رأى من سعادة الدنيا حظًا ، وكل من لم يتشبث بتلك المدامة ، ولم يمت سكرانًا بها نشوانًا ما سلك طريق العقل والفراسة وما سار سبيل الحزم والكياسة.

(رباعية)

من عاش مفيقًا من شراب العشق

انكسر كأس طربه من حجر الإدبار

ومن لم يمت سكرانًا من هذا الشراب

ما سلك طريق الحزم في العشق

(لامعة): كل سعادة وحضور وابتهاج وسرور ينتج من حصول المرادات الدنيوية، والوصول إلى السعادات الأخروية أو يكون ثمرة التحقق بالمعارف الروحانية والكمالات الإنسانية هو بالقياس إلى الاستهلاك في عين الجمع والاستغراق في لجة الفناء ، الذي يترتب على المحبة الذاتية والمناسبة الأصلية سوف يكون مستحقرًا ، وسوف يكون مستنكرًا ؛ إذن فالمحروم الذي لم تصبه هذه السعادة ولم يبلغه ذاك الابتهاج أي حظ احتظى به من حقيقة الحياة ، وأي تمتع تمتع به من كمال البهجة والحبور ؟

(رباعية)

كــل فـــرح يفرحه المرء بعيـدًا عن بابك ولو كان بمثل السلطان هو عليه خسران

وبقـــدر مـــا يـربحـــه شـــحـــاذو بـابك

فـــرأس مـــال الملوك كـله نقـــصـــان

(وقال قدس سره)

على نـفـــســه فليـبـك من ضـاع عـــمـــره

وليس له فـــيـــهـــا نـصـــيب ولا ســـهـم

بكى بكاء وبكى بالمد والقصر مضاد الضحك وضاع الشيء ضيعة وضيـاعًا لم يحـصل له وكلاهـمـا من البـاب الثـانى ، السـهم النصـيب والنصيب الحظ من الشيء ، يقول يجب أن يبكى على نفسه ويقيم مـأتمًا له من أضـاع نقد حيـاته ورأس مـال أوقـاته ولم يجـعلهـمـا وسيلة لعشق الخـمر وواسطـة للفنـاء والسكـر ، ولم يقم بتحصيل جرعة منها وتكميل حظ بها .

(رباعية)

إنما الرجل الذى ينفق رأس مال عمـره على خمره

لأن العمر بلا شرب الخمر أساس الألم والهم

وكل من لم يحتظ من الخمر فى عمره

قل له ابك دمًا فقد أضعت عمرك

(لامعة): المقصود من خلق العالم هو وجود بنى آدم، والمطلوب من وجود بنى آدم هو المعرفة والمحبة للحق تقدس وتعظم لأن السعادة الأبدية بهما منوطة واللذاذة السرمدية بهما مربوطة ، وأعظم أسباب اكتساب المعرفة والمحبة هو نقد الحياة ورأس مال الأوقات والساعات فإذا صرفها الطالب اللبيب بالمواظبة على وظائف الطاعات والمداومة على مراسم العبادات مع التوجه التام وإخلاص النية على الدوام وتفريغ القلب بالكلية عن الأغراض الدنية الدنيوية ، بل عن جميع التعلقات الكونية تستقبله سابقة العناية وتنفتح عليه سبل الهداية فيغدو قلبه مهبط أنوار المعرفة وتصبح روحه مخزن أسرار المحبة ، ويكسى خلعات السعادة الأبدية ، وينثر عليه نثارات البهجة السرمدية، وتبقى خاتمة أحوال عن الغرامة مصونة وتصير عاقبة أفعاله وأعماله من الحسرة والندامة مأمونة ، وإذا فعل والعياذ بالله خلاف ذاك أبله أو أكمه لم تكتمل بصيرته بكمال الهداية، ولم تتبدل ظلمة جهالته إلى نور الدراية وحصر كافة اللذات فى التمتعات الحسية وقصر سائر الراحات على الشهوات البهيمية ، وعد أيام حياته أساسًا لاستيفاء المناهى وحوّل حاصل أوقاته حليةً لاستقصاء الملاعب والملاهى ، وآخر الأمر لم يلق من نفحات رياض اللطف والجمال حظًا ، ولم يذق من رشحات أقداح القرب والوصال جرعة فإن على شفتيه نفير الحسرة ، وفى قلبه زفير المحنة،

وعلى صدره كى الخسران وفى عينيه دمع الحرمان ، سلك طريق العدم وخطا فى مسار الخسار وبدأ لسان حاله هذا الترنم وناح بهذا التنغم :

(رباعية)

وا أسفاه فقد ضاع وقت العمل

وراحت أسباب وصال الحبيب

وفى معرض لذة فانية

ضاعت مائة لذة باقية

(رباعية)

تجرعنا من كأس الأجل السم من أسف

ورحلنا عن قصر الأمل من أسف

وقطعنا من الراحة الفانية الأمل

ولم نبلغ السعادة الباقية من أسف

ويحق لأهل الأرض أن يبلغوا من جرمان ذلك التعيس نواح الحسرة إلى السماء ويجدر بأهل السماء أن يهرقوا من خذلان ذاك الحزين دموع الأمل والمحنة إلى الأرض

(رباعية)

من يبلى روحه بعيداً عن فرقتك

ويطهر دم قلبه من سنان رمشك

يحق للجبل أن ينوح تألما عليه

ويجدر بالحجر أن يبكى على حاله

(رباعية)

كل مُغْتَمٍّ يبكى من الطالع المنكوس

ويتوجع من فرقة هذا الحبيب الصبوح

إن حكى عن آلام قلبه مع الجبال

صارت كل عين فيها عينًا تبكى عليه الدم المسفوح

(خاتمة فى المناجاة)

إلهى كل ما خطر فى قلبنا أو مر على لساننا إن كان فى حساب الصدق والصواب فهو نتيجة إنعامك وثمرة كشفك وإلهامك فامنحنا الأجل لأداء شكرك عليه ، وإن كان فى عداد الكذب والفساد فهو من قصور أهليتنا ونقصان قابليتنا فامتن علينا بحسن تجاوزك وغفرانك.

(رباعية)

الفعل منك يوجب الشكر والثناء

والصنع منا يسبب الجرم والخطاء

ليس إلا خيراً وكمالاً حيثما تكون

وإن كان شر فهو من جانبنا

أطلق خاطرنا من التقييد بما سواك وأغرق أوقاتنا في الاستغراق في شهود كبرياك، ولأن كل إنسان يتعقب مقصوداً ويسلك طريقًا يريد حسنًا منشوداً فكن أنت قبله مقصودنا ، وصر أنت غاية حسن منشودنا.

(رباعية)

عبوديتك جنوني من حياتي

ويحرم على الأحياء القلوب الأنفاس بدونك

كل امرىء يطلب منك مقصود قلبه

لكن (الجامي) لا يريد منك إلا أنت وكفى

واحفظ عاقبة أمرنا من غائلة الغرامة وحصّن خاتمة عمرنا من شائبة الحسرة والندامة وكن شريك أنفاسنا بفضلك وكرمك ما بقى نفس فإذا انقطع فأغثنا بلطف عنايتك

(رباعية)

يا من صنعك لحظة بعد لحظة من قلم (كن)

ومائة نقش لك ثار مستجداً على لوحك القديم

أروم أن تختـــتم صـــحـــيـفـــة عـــمـــرى

بذكـــرك وانتـــهـى كـلامـى بذكـــرك أيضًـــا

وصل الغاية ، وانتهى إلى النهاية سير القلم الحثيث الخطا، وحركة اليراع الذى ما قر وهدا فى قطع مراحل ترتيب هذه اللوامع وطى منازل تأليف هذه البـدائع فى تـاريـخ يفـهم من هذه الرباعـيـة على سـبـيل الإيماء والتعمية :

(رباعـيـة)

بـلا دعــــوى فـــــضـل ولا زعم فـن

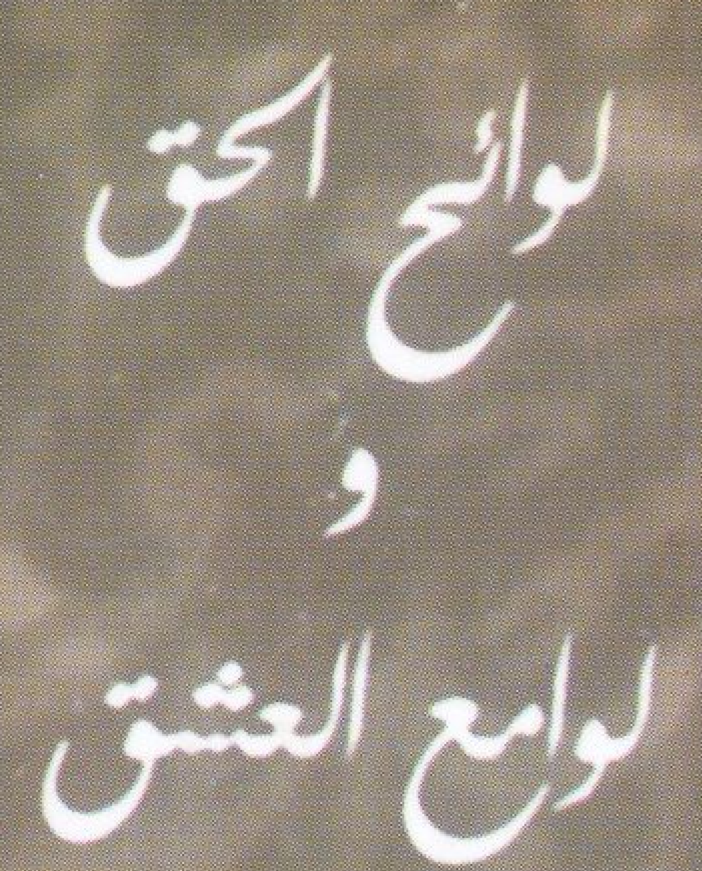
سلك الجامى هذا العقد مـن الجوهر فى سلك البيان

ولحـظة أن تم اســـتـــخـــرج تاريـخ

شـهور إتمامـه وسنواته من (شـهـر صفـر)[1]

(١) حساب الجمل لكلمتى (شهر صفر) يساوى (٨٧٥) هى نفس سنة إتمام هذه اللوامع .

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــل





يضم هذا الكتاب ثلاثة من التآليف النثرية: لوائح الحقيقة، وهى خمس وثلاثون لائحة فى شرح مقالات الحكماء الصوفية فى الوحدة ومراتب الوجود، خاصة ابن عربى والقونيوى وأتباعهما؛ إذ لم يبتدع الجامى فكراً زائداً على هذين المفكرين، لكنه أحسن استيعاب هذه النظرية على كثرة مقالاتها، وعرض خلاصة لفهمه لها فى أسلوب رشيق عميق جزل. ورصع لوائحه برباعيات موافقة من نظمه. ولم تكفه هذه اللوائح: فأنشأ رباعيات فى نفس الفكر ثم شرحها لإثبات وحدة الوجود وبيان تنزلاتها إلى مراتب الشهود وكيفية إدراكها بالذوق والعرفان. وقد قدّم هذين الكتابين على شرح له للقصيدة الميمية الخمرية لابن الفارض، والذى تأثر به فى غزلياته كذلك، وسماها باللوامع، وهى الكتاب أو القسم الثالث لهذا الكتاب؛ ليرسم سمات العشق الإلهى ومراتبه بقلم الموحد أو القائل بوحدة الوجود، ولذلك كانت لوامعه تأكيداً وتفصيلاً لما سبقها من لوائح ورباعيات.

